

٧٨
مجلة شهرية ثقافية دينية
تصدر عن شعبة الدراسات والبحوث الإسلامية
محرم الحرام ١٤٣٧ هـ
تشرين الثاني / كانون الأول ٢٠١٥ م
الأمانة العامة
المقدسة
أنا ابن المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا تراث
أنا ابن من انتُهِكَ حريمُهُ، وسُلِبَ نعيمُهُ، وانتُهبَ مالُهُ، وسُبِيَ عياله
أنا ابن من قتل صبرا

بسم الله الرحمن الرحيم

الإشراف العام

الشيخ علي الفتلاوي

رئيس التحرير

الشيخ علي الفتلاوي

سكرتير التحرير

محمد رزاق صالح

هيأة التحرير

السيد صفوان جمال الدين

الشيخ محمد فاضل

السيد حسين الزاملي

التدقيق اللغوي

أ.خالد جواد العلواني

التصميم والإخراج الفني

السيد علي ماميثة



إصدار قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة الحسينية المقدسة

رقم الإيداع في دار الكتب والوثائق - وزارة الثقافة لسنة ٢٠٠٩-١٢١١

هاتف: ٣٢٦٤٩٩ - بدالة: ٣٢١٧٧٦ - داخلي: ٢٤٢

موقع العتبة www.imamhussain.org

موقع القسم www.imamhussain-lib.org

بريد القسم info@imamhussain-lib.org



التصريح بالعاقبة
علامة صدق النهضة

من المعروف للجميع أن القائد الذي يبغي التفاف الناس حوله ويبغي إيمانهم بمبدأه، يتجنب التصريح بعاقبة الأمور السلبية، كخسارة المعركة أو احتمال القتل والإبادة له ولأصحابه لما في ذلك من تثبيط للعزائم وتفتيت للهمم، فهذا يجري في الثورة أو النهضة الدنيوية عادة، ولكن إذا كانت الثورة أو النهضة ثورة ونهضة إلهية سيكون الكلام غير الكلام وتكون الخطة غير الخطة بل ستتغير المفردات التي تتحرك بموجبها الثورة أو النهضة، وسيحكمها القانون الإلهي فقط مجرداً عن الحسابات الدنيوية وعلى سبيل المثال: - الحركة الإلهية غايتها أخروية بحته.

- الحركة الإلهية لا يهمها النصر بقدر ما يهمها الرضا الإلهي.
- الحركة الإلهية تعتمد الأخلاق الإلهية في مفرداتها.
- الحركة الإلهية تعتبر الشهادة غاية أعلى بعكس الحركة الدنيوية التي يهم أصحابها النجاة من القتل ليتمتعوا بلذة النصر العسكري.
- الحركة الإلهية يصرح قائدها بالعاقبة سواء كانت حلوة أم مرة على النفس.

وهذا وغيره يدل دلالة صريحة على صدق النهضة وسموها وارتباطها بالسماء، وهذا ما أشار إليه الإمام الحسين عليه السلام عندما قال: «من لحق بنا استشهد ومن تخلف لم يدرك الفتح.» وقوله عليه السلام: «كأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء....» وقوله عليه السلام: « يا قوم، اعلموا خرجتم معي بعلمكم إني أقدم على قوم بايعوا بألسنتهم وقلوبهم وقد انعكس العلم واستحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله، والآن لم يكن لهم مقصد إلّا قتلي وقتل من يجاهد بين يدي وسبي حريمي....» إلى أن يقول: «... فمن منكم فلينصرف فالليل ستير والسبيل غير خطير والوقت ليس بهجير، ومن أسانا بنفسه كان معنا في الجنان نجياً من غضب الرحمن.....» فإذن هذه الصراحة تدل على صدق النهضة ونزاهتها وتدل على أن قائدها رجل إلهي غايته رضا الله تعالى فقط.

المشرف العام

ظاهرة النكوص والتخلّف عن نصرة الإمام الحسين عليه السلام

الدكتور شلتاغ عبود

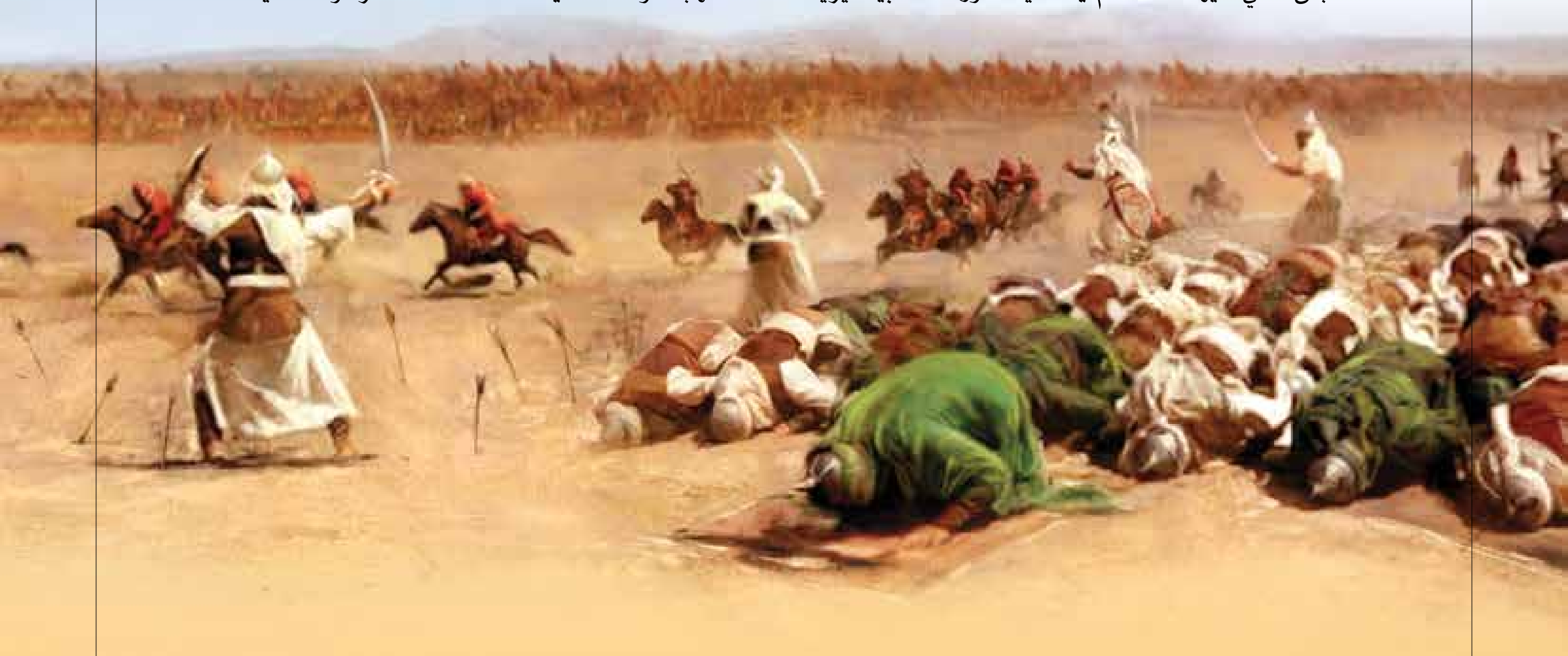
لقد شهد المؤمنون وفي فترة العشرين عاماً من حكم معاوية بن أبي سفيان من الظّلم والطغيان والتعسف ما جعلهم يتوقون الى التغيير، ويرتقبون الفرص للتحرك والتخلص من هذه الحالة التي ابعدت الامة عن الإسلام وقرّبتها الى حالات الجاهلية الاولى.

ولقد كان موت معاوية الفرصة الكبرى لهذا التحرك، وإن كانت هناك محاولات فردية قام بها حجر بن عدي وصحبه، ودفعوا حياتهم ثمنا لبداية هذا التحرك ومحاولة لكسر حاجز الرهبة والخوف. والذي جعل الناس يعون اكثر اللعبة الاموية التي كانت تحتمي بمقولة (الاختيار الالهي) للبيت الأموي، وبمقولة (الصحبة) باعتبار أن معاوية رأى الرسول وكتب شيئا من الوحي كما يزعمون، والذي جعل الناس يعون هذه اللعبة هو فرض (يزيد) بن معاوية حاكما على المسلمين بجهود وممهدات بذلها أبوه وذلل بعض الرقاب اليها بما أوتي من قدرة على الترهيب والخداع!

والذي أعان على التحرك هو نهضة الامام الحسين ابن علي عليهما السلام في المدينة، ورفضه لبيعة يزيد وتهيؤه للرحيل الى مكة ثم العراق، على قلة في العدد والعدة، حفاظا على روح التوقد والتضحية في الأمة، ورفضا للظلم وعبودية سلطان الجور والجاهلية.

ولكن الأمر الغريب الذي نلحظه، هو أنه على الرغم من أن الناس قد ذاقوا مرارة الظلم في الفترة التي حكم بها معاوية وولاته من البيت الأموي خاصة زياد بن ابيه سيئ الصيت، ثم ولده عبيد الله بن زياد في الفترة الأولى من مجيء يزيد بن معاوية الى الحكم، وعلى الرغم من تهيؤ الظروف في الكوفة خاصة الى الثورة، على الرغم من ذلك كله نلحظ ظاهرة النكوص والتخلف عن نصرة الإمام الحسين بل نصرة الاسلام، فما الاسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة يا ترى؟!

الحق أنّ الظاهرة تدعو الى التأمل كيف يخبو ذلك الحماس إبان قدوم الامام الحسين الى العراق، بل وإبان قدوم رسوله (مسلم بن عقيل)، وذلك الحماس الذي عبّرت عنه رسائل العراقيين للإمام الحسين، والتي كانت ذات لهجة واضحة في الاستعداد للنصرة والتضحية،



مـن مثل هذه الرسـالـة (أما بعد فإن الناس ينتظرونك،لا رأي لهـم غـيرك، فالعجـل يـابـن رسـول الله صلـى الله عليـه وآله وسـلم، فقـد اخضرّ الجنـاب، واينعـت الثمار، واعشـبت الارض، واورقـت الاشـجار، فإنّما تقدم عـلى جند مجنّدة...). وفي رسـالـة أخرى يقولون للامام (...إنّه ليـس لنا امـام، فأقبل لعلّ الله يجمعنا بـك على حق... وإنّ النعمان بن بشـير في قصر الامـارة لسـنا نـجتمع مـعـه في جمعة ولا عيد)!!

ترى كيف تفرق الجمع والشـمل؟ أين الثمانية عشـر ألفاً من الناس الذين صـلّوا وراء مسلم بن عقيل؟ وكيف أصبح مسلم بن عقيل وحيداً في أزقة الكوفة يبحث عن ملجأ يأويه، فلا يـجد غـير بـيت امرأة!! بل كيف تحوّلت هذه الجموع، وهـذا الأغرب–إلى جنود مجندة ضد الحسـين،بعدما قالوا له في رسـائلهم إنَّهم جـنود مجندة له؟!! أمر محير وغريب ومخجـل حقـاً!! ولكنه – عـلى أية حال – حدث حقـاً.. وربما حدث مثيل له، ويحدث أيضاً!!

وحـين نـمعن التـأمل فـي هـذه الظاهـرة نجـد أنهـا ظاهـرة متصلـة بطبيعة النفـس الإنسـانية ذاتها، وليسـت وقفـا على مرحلة تـاريخية مـعينة، وليسـت محصورة على قوم دون آخرين، كما شـاء بعض الكتاب أنْ يجعلوها خاصة بالعراقيين وحدهم!! بل إنها يمكن أن تحدث لدى العراقيين ولدى غـيرهم فـي الوقت نفسه!

فالنفسـ الإنسـانية هذه بطبيعتها ترنو بعـين الى القريب العاجل من دنياها، وتكره الرحلة الطويلة الشاقة الى أخراها، و لقد شـهدنا من الناس ومن بعض المؤمنين الذين عاشوا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم نكصوا وتخلفوا ورضـوا أنْ يكونوا مـع القواعد! ﴿لو كـان عرضا قريبا وسـفرا قاصدا لاتّبعوك، ولكـن بعدت عليهـم الشقة﴾.(البقرة/٤٢)

وبسـبب مـن هـذا تجـد القـرآن الكـريم يـعطي تصوّرا واضـحا ومؤكدا ومكـررا لهذه الدنيا، ويرسـم لذلك صورا للمتعلقين بدنياهم، وصورا أخرى للزاهدين فيها، من اجل أن يعطـي للدنيـا حجمهـا الطبيعي في التصور الاسـلامي، وكان ذلـك مـن خـلال القصص القـرآني ومـن خـلال التقريرات القـرآنية الكثيرة. ﴿واضـرب لهـم مثل الحياة الدنيـا كمـاء انزلنـاه مـن السـماء فأختلط بـه نبات الارض،فأصبح هشـيما تـذروه الرياح...﴾.(الكهف/٤٥)

هـذه – إذن – ظاهرة عامة فـي النـفس البشـرية،حتى في الفـترات التـي بعث بهـا الانبيـاء وفي الفـترات القريبة منهـا. وإلا كيـف تفسّـر رؤيـة الكثـير مـن اولاد الصحابة الحسـين عليهم السلام وهـو يتوجّه الى العراق، مقدما على الموت هـو وآله وعياله.

وهـم يرضون من الاسـلام بأن يـكتفوا بـشرح الحديث النبـوي في المسـاجد، او ينتظروا اعطيـات البيت الاموي،أو تقديم النـصيحة للإمام الحسين في احسن الاحوال في ألا يقدم على العراق!!

ليـس شيء آخـر غـير حب الدنيا،و كراهة الموت.. وهذا ما خوّف الرسـول صلى الله عليه وآله وسـلم منه أمته، ولم يخوّفهم من شـيء اعظم منه!!

يقـف رجل فـي طـريق الامـام الحسـين وهو متجـه إلى الكوفة،فيقـول لـه: (لئن قـتلت يابن رسـول الله لـنسـترقنّ بـعدك) فالظاهـر أنه يفكر في أمر نفسه اكثر من تفكيره في مصير الامام الحسـين أو مصير الاسـلام!!

والـذي جعل نازع النفوس إلى الدنيـا يقوى هنا أمران: المال والسيف!

فلقـد نشـط الخـداع الأمـوي فـي مخاطبـة الأعيـان ورؤسـاء القبائل ووجوه القـوم مـن ابناء الصحابة فـبعث اليـهم بالأمـوال، وكان ذلـك منذ أيـام معاوية حـين أثرى الـكثير من النـاس ممّن كانـوا على صلـة بالبلاط الأموي، وممـن قـدّم خدمـات معينة الى هـذا البلاط.

وإذا كـان المـال بيـد، فقد كان السـيف الحاد مسـلطا عـلى الرقـاب بيد أخرى، فقد أمر مـعاوية من قبل واليه زياد بن أبـيه بـأن يعمل السـيف في محبّي الامام علي، بل والتمثيـل بهم، وكانـت وصية يزيـد الى عبيد الله بن زياد اقسـى وانـكى حيث قـطعت الرؤوس، ورُمِيَت الجثث من فـوق القصور، ثم سـحلت فـي الشـوارع تـرهيبا للنـاس وإنذارا لهم.

في هـذا الجـو الارهابـي دعـى النـاس الى قتال الامام الحسـين، وهم من الذين راسـلوه، وادعوا أنهـم ينصرونه، وكانـت خطـة احصائيـة في متابعـة كـل انـسان يختفي او يتهـرب من الخـروج لمحاربـة الامام الحسـين (ألا بـرأت الذمـة ممن وجد فـي الكوفة ولم يخرج لحـرب الحسين)!!

وكـشاهـد عـلى هذا يـروي المؤرخـون أنّ رجـلا قدم من الشـام لقبض ديـن لـه فاغتنمها ابن زيـاد فرصـة، فقتله

ودحرج رأسه أمام الناس!! ولم يكن ذلك الرجل من العراقيين، ولم يكن ممن راسل الامام الحسين!!

والدليل على أن الرعب قد بلغ حدّه، أنه لم يستطع الا القليل من الفرار والالتحاق بالامام الحسين، وحتى هذا القليل قبض عليه في اطراف الكوفة وقتل! وهذه العلة التي تحركت وحاولت كسر الطوق، تشكل ظاهرة معاكسة، ظاهرة الترفع على هذه الدنيا والرغبة فيما عند الله، ظاهرة التضحية التي شهدناها مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من لدن القلة المؤمنة التي ارست دعائم الاسلام وقوّضت بنى الجاهلية وقوتها.

اذن هو حبّ الدنيا.. في شكليه اللذين برزا آنذاك: الرغبة في السلامة، والرهبة من حكام الدنيا.. والحقّ أنّ الرغبة في السلامة هو العامل الأبرز، لأن سيف عبيد الله بن زياد كان مستعدّا أن يحصد الآلاف من الرؤوس.

وكان يمكن تلافي هذا النكوص والخذلان والرهبة من سيف عبيد الله بن زياد، لو أن الناس تلقوا الاسلام تلقّيا صحيحا، وتلقوا حبّ أهل البيت تلقيا بعيدا عن العاطفية.

اذ يبدو أن العاطفة كانت هي الطابع العام لانصار أهل البيت آنذاك، كانوا محبين حقا لبيت الرسالة وورثة النبوة، ولكنهم لم يكونوا معبئين فكريا، لاستثمار هذه العاطفة وتثويرها، بحيث تكون النفوس مستعدة الى البذل والتضحية بلا حدود.. كانت موجة من العاطفة سرعان ما تتلاشى عندما تصطدم بشاطيء الابتلاء والتمحيص.. هذا بشكل عام.. اذا نظرنا الى الجماهير الغفيرة من الناس.. ولكن هناك مستويات فردية كانت في قمة الاحساس بالتضحية وقمة المزاوجة بين الفكر والعاطفة.

وربما كان سوء التنظيم وعدم تعبئة الجماهير وعدم اغتنام الفرص سبباً في عدم استثمار الحالة التي كانت عليها الامة إبان موت معاوية وتولية يزيد، فلقد كانت حالة مؤاتية للانقضاض على النعمان بن بشير قبل مجيء عبيد الله بن زياد، وكانت الفرصة مؤاتية للسيطرة على الكوفة من قبل انصار الامام الحسين، وإلا أية غفلة هذه التي كانت تنتظر مجيء الامام الحسين نفسه لكي يقاتل النعمان، او عبيد الله بن زياد!!

لم يكن المسؤولون عن تعبئة الجماهير، بالمستوى الذي يجعلهم قادرين على اثارة الروح القبلية نفسها وجعلها في خدمة الاسلام، فكثير ممن قتلهم عبيد الله بن زياد كانوا من قبائل ذات مكانة مرموقة في سلّم القبائل العربية، فكان بالامكان تثوير هذه الحالة بصورة ليست بعيدة عن الروح الاسلامية بل جعلها خاضعة لهذه الروح.

ثم إن الاعلام المبرمج الذي كان يستثمره الاعداء في إشاعة أنّ الامام الحسين قد شقّ عصا المسلمين وخرج على خليفة المسلمين، كان يمكن العمل على ايجاد اعلام مضاد فاعل.

فالظاهر أنّ الاعلام الحكومي كان اكثر تغلغلا الى الناس واسرع تحركا من الاعلام المضاد، اعلام المستضعفين من اصحاب الحقّ.

وهل يرتجي هؤلاء أنْ تبلغ السماء عنهم مظلوميتهم،و تعلن للملأ عن أساليب اعدائهم وسوء تصرفهم.

لابدّ اذن من المبادرة الى خلق الاعلام المضاد بمنهج مدروس خاضع للقيم الاسلامية وليس للتوتر العاطفي الذي سرعان ما يخمد، اعلام مبادر لا يعمل وفق ردود الفعل، واتخاذ الموقف الدفاعي فقط.

والمراد دراسة الظاهرة، والمراد التعرف على اسبابها.. ثم العمل على التخلص من مسببات الوقوع فيها.. وليس أكثر من التلقي الاسلامي الصحيح للدين بأبعاده الفكرية والعاطفية والجهادية، وليس أكثر من هذا درعا لنا في أن نعرف طريق الحق فنتبعه، ونعرف طريق الباطل فنتركه.. الفهم الإسلامي الصحيح هو الذي يجعل الدنيا تحت الأقدام، ويجعل الرغبة في جنان الله أعظم من كل سيف.

إن في هذا العصر لأكثر من يزيد وأكثر من عبيد الله، ولكن هناك استعداد في النفس لمواجهة الظلم والانتصار عليه، مثلما هناك استعداد في الاستقامة على الظلم والرضوخ له. والطريق إلى الجنة محفوف بالمكاره.. فليحاول كل امرئ من المؤمنين أنْ يجرّب ايمانه بأن يرمي نفسه في أتون الصراع لتغيير المنكر والظلم، فإن للمنكر قواعد وجيوشا وقوى لا تتخلى عن مكانها ومواقعها بالصراع، وإلاّ فإن الصمت وانتظار الفرج لن يغير من الظلم.. بل سيديم أمده.

هذا قانون إلهي.. يجب أن نترصد مظاهره.. ونعمل وفق ما يؤدي بنا إلى النجاة.. النجاة بأنفسنا.. والمساعدة على نجاة الآخرين من الاغلال التي كبلهم به الطغاة والظالمون.

راحل أنت

بقلم الشريف الرضي، نظمها يوم عاشوراء سنة ٣٨٧هـ

قصيدة في رثاء سيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام

راحلٌ أنتَ، وَاللّيالي نزول ... ومضرّ بك البقاء الطويل

لا شجاع يبقى فيعتنق الـ ... ـبيض، ولا آمل، ولا مأمول

غاية الناس في الزمان فناء ... وكذا غاية الغصون الذبول

إنما المرء للمنية مخبوء ... وللطعن تستجم الخيول

عادة للزمان في كل يوم ... يتناءى خل، وتبكي طلول

فالليالي عون عليك مع البيـ ... ـن، كما ساعدا لزوابل طول

هي دنيا إن واصلت ذا جفت هـ ... ـذا ملالاً، كأنها عطبول

كل باك يبكى عليه وإن طا ... ل بقاء، والثاكل المثكول

والأماني حسرة وعناء ... للذي ظن أنها تعليل

ما يبالي الحمام أين ترقى ... بعدما غالت ابن فاطمة غول

أي يوم أدمى المدامع فيه ... حادث رائع، وخطب جليل

يوم عاشوراء الذي لا أعان الـ ... ـصحب فيه ولا أجار القبيل

يا ابن بنت الرسول ضيعت ... العهد رجال، والحافظون قليل

يا حساماً فلت مضاربه الها ... م وقد فله الحسام الصقيل

يا جوادا أدمى الجواد من الطعـ ... ـن وولّى ونحره مبلول

يوم طاحت أيدي السوابق في النقع ... وفاض الونى وغاض الصهيل

أتراني أعير وجهي صوناً ... وعلى وجهه تجول الخيول

أتراني ألذُّ ماء، ولما ... يرو من مهجة الإمام الغليل

قبلته الرماح وانتضلت فيـ ... ـه المنايا، وعانقته النصول

والسبايا على النجائب تستا ... ق، وقد نالت الجيوب الذيول

قد سلبن القناع عن كل وجه ... فيه للصون من قناع بديل

وتشاكين، والشكاة بكاء ... وتنادين، والنداء عويل

يا غريب الديار! صبري غريب ... وقتيل الأعداء، نومي قتيل

ليت أني ضجيع قبرك أو ... أنْ ثراه بمدمعي مطلول

يا بني أحمد! إلى كم سناني ... غائب عن طعانه ممطول

وجيادي مربوطة والمطايا ... ومقامي يروع عنه الدخيل

كم إلى كل تعلو الطغاة وكم يحـ ... ـكم في كل فاضل مفضول

ليت أني أبقى، فأمترق النا ... س وفي الكف صارم مسلول

وأجر القنا لثارات يوم الـ ... ـطف يستلحق الرعيل الرعيل





السيدة زينب في مطافها الأخير

الشيخ أسد حيدر

عندما دخلت السيدة زينب عليها السلام المدينة، واستقبلتها جموع المعزين، اتجهت إلى مسجد النبي صلى الله عليه – وآله – وسلم ووقفت على باب المسجد وقالت: «يا جداه يا رسول الله أنا ناعية إليك ولدك الحسين».

وهذه الكلمة هي جذوة حزن تتقد وشرارة حرب على الأمويين. وعندما دخلت الدار فلم تشغلها ذكريات الماضي، ولم يغلب عليها الحزن عندما شاهدت خلو أمكنة أهلها، ومحاريب العبادة التي كانت ترتفع منها أصوات المناجاة وهي موحشة.

و مهما يكن للذكريات من ألم يحزّ في النفس، ويؤثر على الجوارح ربما يؤول الى الجزع ولكنها عليها السلام تطفئ حرارة وجدها بالتصبر، وإجراء دمعة الحزن التي لا يمكنها حبسها.

أقامت في المدينة تواصل جهادها بعزم وتصميم على أداء رسالتها وجمع حصيلة الثورة، ونشر أهدافها، فكانت تؤلب الناس على الطلب بثأر الحسين عليه السلام.

وخشي عامل المدينة من وجودها في المدينة، أن تفجّر ثورة في المدينة ومكة؛ لأن ابن الزبير رفع شعار الطلب بثأر الحسين عليه السلام وهياج المدينة يدعم ثورته ضد يزيد، لأن ابن الزبير أعلن خلع يزيد ودعا الناس الى ذلك.

وكتب عامل المدينة الى يزيد يخبره بالأمر ويحذره من خطر دعوة زينب، وجاء الأمر من يزيد بلزوم إخراجها، ولكنها أعلنت أنها لا تخرج حتى يراق دمها.

وقالت: قد علم الله ما صار الينا، قتل (يزيد) خيارنا، وحملنا على الأقتاب، فو الله لا خرجنا، وإن أهرقت دماؤنا.

فقالت لها زينب بنت عقيل: يا بنت العم قد

صدقنا الله وعده، وأورثنا الأرض نتبوّأ منها حيث نشاء، فطيبي نفسا، وقرّي عينا، أتريدين بعد هذا هوانا؟ ارحلي الى بلد آمن.

ثم اجتمع اليها نساء بني هاشم وتلطفن معها في الكلام.

وهاجرت زينب هجرتها الثانية، وهي تشق طريقها بالعزم والتصميم على المضي في جهادها.

وهنا نقف على مفترق الطرق، فنجد أقوالا متضاربة حول اتجاه ركب العقيلة الذي ألزم بالخروج من المدينة، لكن الاختيار ليس بيد السلطة، ما عدا المنع من الاتجاه الى العراق والرجوع الى المدينة.

فهل وقع الاختيار على الشام أو التوجه الى مصر؟ وكانت خاتمة المطاف هناك، وتوفيت بمصر ودفنت في تربتها حيث مشهدها الآن.

أم أنها أقامت بدمشق مع زوجها عبد الله بن جعفر في محل إقامته في الراوية لأن له أملاكا هناك، فوافتها المنية، ودفنت في مشهدها المعروف ومزارها المشهور.

أو أنها اختارت الذهاب الى مصر مع بقية أهل البيت كما ورد أنها خرجت الى مصر ومعها فاطمة وسكينة بنات الحسين، وكان خروجها في سنة ٦١هـ.

وقد استقبلت استقبالا مهيبا كما حدثت رقية بنت عقبة بن نافع الفهري قالت:

كنت ممن استقبل زينب بنت علي، عندما قدمت مصر فتقدم إليها مسلمة بن مخلد، وعبد الله بن الحارث، وأبو عميرة المزني، فعزاها مسلمة فبكى وبكى الحاضرون فقالت زينب: «هذا ما وعد الله ورسوله، وصدق المرسلون».

وذكر النسابة العبدلي أن دخول السيدة زينب كان أول شعبان سنة احدى وستين، وأقامت بمصر وهي شاكية لانحراف صحتها الى سنة ٦٢ وتوفيت يوم الأحد ليلة الاثنين لأربعة عشر يوما خلت من رجب للسنة المذكورة ودفنت بمحل سكناها.

ثم بعد مرور عام على وفاتها وفي نفس اليوم الذي توفيت فيه اجتمع أهل مصر وفيهم الفقهاء، والقراء، وغير ذلك وأقاموا لها موسما عظيما برسم الذكرى على ما جرت به العادة، ومن ذلك الحين لم ينقطع هذا الموسم الى وقتنا هذا من يوم وفاتها الى الآن والى ما شاء الله، وهذا الموسم هو المعبر عنه بالمولد الزينبي، يبدأ من أول شهر رجب من كل سنة، وينتهي ليلة النصف منه وهي ليلة الختام، وتحيا هذه الليالي بتلاوة القرآن الحكيم والأذكار الشرعية ويكون لذلك مهرجان عظيم وتفد الناس من كل فج عميق الى زيارة ضريحها الشريف.

وكذلك تقصدها الناس للزيارة بكثرة لاسيما يوم الأحد وهي عادة قديمة ورثها الخلف عن السلف.

والتزم الأمراء والقواد قبرها فكان كافور الاخشيدي يتعاهد زيارتها وكذلك أحمد بن طولون، وكان الظافر الفاطمي يزورها، وإذا أتى إلى مقامها الشريف يأتي حاسر الرأس، مترجلا يتصدق عند قبرها، الخ. (السيدة زينب للأستاذ حسن محمد قاسم: ٥٨-٦٠)

وبقي القبر يتعاهده الناس بالزيارة والهدايا، وهو موضع احترام العامة والخاصة.

وقد نظمت الأشعار في تاريخ بنايات قبرها في مصر كما ألف العلماء في ترجمة السيدة زينب رسائل ولعل أقدمها رسالة السيد يحيى بن الحسن – المعروف بالعبدلي بن جعفر الحجة ابن الأمير عبيد الله الأعرج، ابن الحسين الأصغر، ابن علي زين العابدين.

وهو أول من جمع الانساب بين دفتين، ونشر هذه الرسالة الاستاذ حسن محمد قاسم في ضمن رسالته (السيدة زينب) وقدمها بكلمة.

فلئن كان في النساء شهيرات فالسيدة زينب أولاهن، وإذا عدّت الفضائل فضيلة فضيلة، من وفاء وسخاء، وصدق وصفاء، وشجاعة وإباء، وعلم وعبادة، وعفة وزهادة، فزينب أقوى مثال للفضيلة بكل مظاهرها.

إن اشتهار فضائل السيد زينب، والآثار المروية فيها وعنها في كتب التاريخ ليغني عن التوسع في ترجمتها الشريفة، وبوجه إجمالي فهي ينبوع فضائل باقية الذكر (ولا عجب) أنّ عدت المثل الأعلى لرمز الحق، ومثال الفضيلة، وشأن الحق أن يستمر، والفضيلة أن تشتهر، وقد طبع آل علي عليهم السلام على الصدق حتى كأنهم لا يعرفون غيره، وفطروا على الحق فلا يتخطونه قيد

شعرة، فهم مع الحق والحق معهم يدور حيثما داروا.

ولقد كانت حركة أخيها الحسين المظهر الأسمى للحق، وكانت هي في هذه النهضة داعية للحق، هاتفة باسمه، ونور الحق لا يطفأ وروح الصدق لا تبيد.

ولقد كانت مواقفها بين أمراء الظلم أمثولة الحق والعدل حيثما كانت مواقف الظلمة أمثولة الحيف والجور.

فكانت تجيب بكل ثبات وإقدام، الأمر الذي لم يقم به أحد من البشر، فإنها في مجلس يزيد، وقد أحيط بها وهي في موقف رهيب، ناداها منادى الحق فهتفت باسمه، وأجابت تلبيته عندما شمخ يزيد بعطفه وارتكس في مهاوي غروره، وسوّل له شيطانه بأنه المنتصر، وأنّه لا شيء يقف أمامه، ولا أحد يستطيع كشف سوء سريرته.

أما قبرها في دمشق ومزارها المشهور هناك فعليه المعوّل وإليه يذهب جماعة من العلماء، وإليها تشد رحال المسلمين من البلدان النائية.

وقد حصل خلاف بين المؤرخين: هل بمصر كما قدمنا أو بدمشق، وقالوا: إن القبر المنسوب لزينب في دمشق أنّه قبر زينب الوسطى بنت علي بن أبي طالب، وهي المكناة بأم كلثوم.

قاله الهروي في الإشارات، وابن الجوزي في المزارات الشامية، والعز بن شداد في الأعلاق الخطيرة، والصيادي في الروضة البهية، في الكلام على مزارات الجهة الشرقية من دمشق: ومنها قرية يقال لها الراوية، قبلي دمشق، فيها قبر السيدة زينب المكناة بأم كلثوم بنت علي ابن أبي طالب... توفيت بغوطة دمشق عقب محنة أخيها الحسين ودفنت في هذه القرية.

وهذا لا يمنع من نسبة القبر المشهور لزينب الكبرى، إذ في دمشق في الجهة الشرقية يوجد قبر مشيد، يقصده الناس للزيارة، وعليه قبة، وهو منسوب لأم كلثوم، ابنة الإمام علي بن أبي طالب، وتقابلها قبة وفيها ضريح، وهي ملصقة بقبة السيدة أم كلثوم، وتنسب القبة والضريح الى سكينة بنت الحسين عليهما السلام، وهناك مزارات أخرى لأهل البيت.

ولا يستبعد ذلك فإن يزيد أمر بإخراج أهل البيت من المدينة، وإخلاء دارهم من الرجال والنساء، وليس فيها من الرجال إلا الإمام زين العابدين عليه السلام، والحسن بن الحسن المثنى، فخرج الحسن الى البادية، ويقال إنّهم سمحوا للإمام بالبقاء، لإنصرافه الى العبادة.

وهناك من يقول إنّه خرج الى البادية مع الأعراب، والصحيح أنّه بقي في المدينة ليكون تحت مراقبة الدولة، لأنه بقية أهل البيت عليهم السلام.

وهكذا ينتهي ركب آل محمد، بعد تلك الرحلة الشاقة ذات الفجائع والمآسي، ولكن حصيلة ذاك الجهاد، وحصاد ذلك البذر أن أصبحت الثورة شعلة تتأجج ونورا يزيل الحجب التي ضربها أولئك الدجالون في طريق دعوة الإصلاح.

لقد نجحت الثورة، والى الأبد ستبقى وحليفها النجاح وكان نصيب أولئك الذين تورطوا بانتحال الإمرة على المسلمين، وحاولوا القضاء على دعاته، وحملة رسالته، أن تفرق شملهم وخسرت صفقتهم.

وكان جميع الذين اشتركوا في قتل الحسين، قد نالهم الذل والهوان، وماتوا أسوأ ميتة، فقد قتلوا وديست جيفهم بالأقدام، بعد أن شردوا وأصبحوا مطاردين.

فابن زياد على قوته وتجبره، ونفوذ سلطانه أصبح مشردا، فهو عندما عاد الى البصرة، طلبه أهلها فاستجار بأحد الزعماء واخفاه، ثم هرب ليلا على حمار، وقلبه يخفق خوفا من الطلب، حتى قتله الثوار، الذين رفعوا شعار (يا لثارات الحسين) وبقيت جيفته للكلاب بعد أن سحقت بالأقدام.

وعمر بن سعد قتل على فراشه. وهكذا فقد شردوا وأهينوا، وهذا ما وعدهم به الحسين إذ قال: «إنّي لأرجو الله أن يكرمني بهوانكم».

ولقد لقي جميع من اشترك في قتل الحسين حتفهم على أبشع الصور، وأشدها مذلة وهوانا، وشردوا في البلاد، وتتبعهم الثوار، فقتلوهم أينما وجدوا حتى قتلوا منهم في يوم واحد مائتين وثمانين رجلا، ولم يفلت من زعمائهم أحد، كعمر بن الحجاج، وشبث بن ربعي، وشمر ابن ذي الجوشن وغيرهم.

كما ابتلي أكثرهم بعاهات وأمراض قضت عليهم بعد



بلاء شديد وعذاب أليم.

أما يزيد فعاش تعسا بآلامه وآثامه، فاستحق لعنة الله وغضب الأمة.

وينهض بقية الصحابة من أبناء المهاجرين في وجهه، فتقع مأساة الحرة، وفجيعة المدينة، بيد علوج الشرك من أنصاره وقادته ثم يتبعها بهدم الكعبة، حتى ذهب الى عذاب الله وغضبه.

وبقي الحسين خالدا، والدنيا كلها تلهج بذكره، والثوار ضد حكام الجور يهتفون باسمه، والمسلمون يقيمون ذكراه، ويجددون أيام فاجعته، منذ يوم قتله حتى يومنا هذا.

ويصبح يومه منار هدى، وسبيل نجاة، وثورته دروسا للأجيال، وعبرة لدعاة الإصلاح، وجذوة لا تخبو، ومفخرة لا تنسى، وتلك الجذوة المباركة لا تخبو.

ويموت يزيد بحسرته، ويخلفه ابنه (معاوية الثاني) وهنا يوجه القدر الحكيم أذكى ضرباته، فيقف ابن يزيد نفسه، ليحمل شعلة الحسين، ويزيد الجذوة ضراما، حين يجمع الناس ليوم مشهود، ثم يعلن فيهم... أن جده وأباه، اغتصبا الحق من أهله، وأنه يبرأ الى الله مما جنت أيديهما... وأنّه يربأ بنفسه وبتقواه من أن يجلس على العرش الملوث بالجريمة.

ثم يعلن عليهم اعتزاله منصبه، ويعتكف في بيته، حتى يأتيه الموت، فيلقي اللّٰه تقيا نقيا سعيدا.

وبه انقطعت سلسلة خلافة آل أبي سفيان، وتحوّل الأمر الى ابن الحكم.

ولقد خابت مساعي معاوية، وباءت جهوده بالفشل، إذ حاول حصر الخلافة في ذريته، عندما أخذ البيعة لولده يزيد، كما فشل يزيد في مسعاه للانتصار على الحسين عليه السلام وبذل كل إمكانياته، واستعمل أقصى قدرته، واتخذ جميع وسائل الانتصار في صراعه مع الحسين، ذلك الصراع الموروث والتخاصم الحاد منذ عهد الجاهلية الأولى، بين هاشم وأمية، ومحمد (صلى الله عليه – وآله – وسلم) وأبي سفيان، وعلي ومعاوية، والحسين ويزيد، وهو الممثل لنزعات بيته الأموي، وكانت آمالهم تحوم حوله في القضاء على خصومهم، وفي كربلاء كان تقرير المصير، ونهاية المعركة المستمرة، وتصفية الحساب هناك.

وظنّ يزيد أنّه بلغ قمة النصر بقتله الحسين بن علي عليه السلام ولكنه أخطأ الهدف، وانتصرت الثورة التي رفع لواءها الحسين فهدم عرش الأمويين.

ووقع الأمر الذي لا بد منه، وصوت زينب تردده أمواج الأثير وهي تقول «فكد كيدك واسع سعيك وناصب جهدك، فو الله لا تمحو ذكرنا ولا تميت وحينا».

مشهد الإمام الحسين بحلب
ـ لمحة تاريخية ـ



عند مدخل مدينة حلب إلى اليمين، على السفح الشرقي المطل على هذه المدينة التاريخية العريقة من الغرب يطالعك جبل الجوشن، وهو يحتضن مشهد سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي. وهو يشرف على المدينة التي عاشت بعض مأساته، بقلعتها الشامخة، ومآذنها الباسقة، وأبنيتها التاريخية المتوزعة. يضاف إلى ذلك شريط هندسي أخضر ينساب بينهما، فيضفي على المكان سحرا خاصا، يزيده روعة وجمالا. و قد دعيت هذه المنطقة الخضراء قديما بـ«أرض العقيقة» نظرا للونها المتميز.

وللأوابد والأبنية الدينية المشيدة تخليدا للأحداث الهامة والمناسبات الكبرى عبر التاريخ وقع كبير في نفوس الشعوب، و أثر بارز في سيرة حياتهم وكثيرا ما كانت تؤدي إلى تحولات ومنعطفات في مجرى الحضارة الإنسانية، سواء أكانت هذه الصّرح ذات طابع ديني أو إنساني.

و كثيرا ما يتحول هذا النوع من الأبنية إلى محافل للناس، يجتمعون فيها لإحياء المناسبات الدينية والذكريات التاريخية. فتنغرس

أحداثها في حياتهم ونفوسهم، و تعمّ شهرتها الآفاق، وتغدو قبلة أنظار المؤمنين في غدوهم ورواحهم.

ولعل من أبرز هذه الأبنية في سوريا وأكثرها شهرة«مشهد سيد الشهداء الحسين عليه السلام»و الذي يقترن اسمه بذكرى كربلاء الأليمة. و قد شيد هذا البناء الديني في المكان الذي وضع عليه رأسه الشريف في إحدى مراحل نقله إلى يزيد بن معاوية بدمشق.

و لقد تعرّض كثير من المؤرخين في حديثهم إلى بناء مشهد الإمام الحسين عليه السلام في أثناء حديثهم عن شيعة حلب أو عن الأمير سيف الدولة. وفي الاحتفالات التي كانت تقام فيه. و لعل الشيخ كامل الغزي- صاحب كتاب «نهر الذهب في تاريخ حلب»-أكثر المؤرخين دقة وتفصيلا في تاريخ البناء ووصفه، و في كل ما له علاقة به، و مما قاله:

«. . . أما مشهد الحسين فهو في سفح جبل الجوشن. و عن يحيى بن أبي طي١في تاريخه أن راعيا اسمه عبد الله يسكن في درب المغاربة، كان يخرج كل يوم يرعى غنمه. فاتفق أن نام يوما بعد صلاة الظهر في المكان الذي بُني فيه المشهد، فرأى كأن رجلا خرج نصفه من شقيف الجبل المطل على المكان، و مدّ يده إلى أسفل الوادي، و أخذ عنزا. فقال له: يا مولاي لأي شيء أخذت العنز وهي ليست لك؟ فقال له قل لأهل حلب أنْ يعمروا في هذا المكان مشهدا ويسموه مشهد الحسين. فقال: إنهم لا يرجعون إلى قولي. فقال:قل لهم أن يحفروا هناك. ورمى بالعنز من يده إلى المكان الذي أشار إليه. فاستيقظ الراعي ورأى العنز قد غاصت قوائمها في المكان. فجذبها فظهر الماء.

فدخل حلب ووقف على باب الجامع القبلي، و حدّث بما رأى. فخرج جماعة من أهل البلد إلى المكان الذي ظهرت فيه العين، وهو في غاية الصلابة لا تعمل فيه المعاول. و كان فيه معدن النحاس قديما، فخطّوا المشهد المذكور. ثم أردف يقول: «وتولى عمارته الحاج أبو النصر بن الطباخ، و كان ذلك في أيام الملك الصالح بن الملك العادل نور الدين. وكان الأمير محمود بن الختلو شحنة حلب، فساعدهم في بنائه. و لما شرعوا في البناء جاء الحائط قصيرا فلم يرض بذلك الشيخ إبراهيم بن شداد، و علّاه من ماله الخاص. وتعاضد الناس في البناء، فكان أهل كل حرفة يفرض على نفسه عمل يوم. و فرض أهل الاسواق عليهم دراهم تصرف في المؤونة والكلف.

وبنى الإيوان الذي في صدره الحاج أبو غانم بن سويق من ماله، فجاء قصيرا، فهدمه الرئيس صفي الدين طارو بن علي النابلسي، ورفع بناءه وانتهت عمارته«عام ٥٨٥ هـ».

إنّ المؤمنين في كل زمان يتسابقون إلى مرضاة الله تعالى بفعل الخير، و بعفوية تسمو عن كل تفكير مادي يضعف مثوبتهم. فمن الطبيعي أن نراهم-مع مسيرة التاريخ-يتدافعون ويتسابقون لمدّ يد العون في كل عمل ذي صبغة دينية، تقرّبا إلى الله.

لذلك رأينا فئات الشعب من تجار وحرفيين يسهمون في إعمار هذا المكان المقدس وترميمه والإنفاق عليه ما وسعهم إلى ذلك سبيلا. و مما لا شك فيه أن مراحل البناء الأولى- الجديدة-ترجع إلى العمل الذي جرى في عهد الملك إسماعيل، فهو الذي أمر بتوسيعه وترميمه كما سنبين.

و يستطرد الغزي في عرضه لتاريخ البناء فيقول:«أوقف له الملك الظاهر غازي عقارات بلغت وارادتها ستة آلاف درهم. وفوّض تصدي أموره وإدارة أوقافه إلى نقيب الأشراف الإمام شمس الدين بن أبي علي الحسين والقاضي بهاء الدين ابن أبي محمد الحسن بن إبراهيم ابن الخشاب. و في عهد الملك محمد ـ ٦١٣-٦٢٤ هـ ـ إستأذن القاضي بهاء الدين بن الخشاب في بناء حرم إلى جانبه، وبيوت يأوي إليها طلبة العلم والمنقطعون للعبادة. و قبل إتمام هذا المشروع دخلت جيوش التتار مدينة حلب سنة ٦٥٨ هـ ونهبوا جميع محتويات المشهد من سجاد وتحف وقناديل من الذهب والفضة، و حطّموا كذلك أبوابه ونوافذه. و توقف المشروع بعد ذلك إلى حين).

و لما ملك الظاهر بيبرس سنة ٦٦٠ هـ جدده ورمّمه وأعاد إليه نشاطه الديني والثقافي والإجتماعي. و استمر في أداء رسالته حتى سنة ١٣٠٢ هـ- ١٨٨٥ مـ. حيث أبدى السلطان عبد الحميد اهتماما خاصا به- إرضاء لسكان حلب المسلمين-فجدّد الجهة الشمالية من القبلية، و أهدى محرابه ستارا حريريا مزركشا بآيات قرآنية. و جدّد ترخيم أرض ضمن المشهد، و فرش القبلية بالطنافس، ورتب له إماما ومؤذنا وخادما وموظفين يقرؤون كل يوم أجزاء شريفة من القرآن، و النفقة على ذلك كله من حساب أملاك السلطان بحلب. ولكن الإهمال اعترى المكان إثر الانقلاب

الدستوري العثماني.

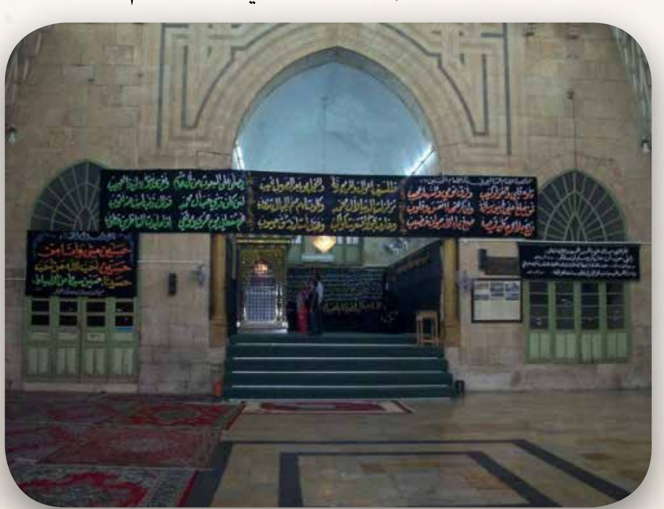
و في ١٣١٢-١٨٩٤ م عاد الاهتمام به ثانية، فوضع فيه منبر خشبي جميل، و جرت فيه خطبة الجمعة والعيدين. و استمرت إقامة الشعائر فيه حتى الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨، حيث أبطلت فيه جميع الشعائر الدينية والاحتفالات بسبب تحويله إلى مستودع للذخيرة من قبل الأتراك الاتحاديين، مما سبب له الدمار الشامل عند انسحابهم من حلب يوم الجمعة ٢٠ محرم ١٣٣٧ هـ-١٢ تشرين الأول ١٩١٨.

ويحدثنا الغزي عن هذا اليوم فيقول:«هجم عليه جماعة من رعاع الناس وغوغائهم ونهبوا ما فيه من الذخائر والسلاح.

و بينما كان بعض أولئك الغوغاء يعالج قنبلة لاستخراج ما فيها من بارود انفجرت وأتت على البارود المتجمع أمامه، و سرت فيه النار بأسرع من لح البصر إلى غيرها من الأعتدة النارية، فانفجرت جميعها إنفجار بركان عظيم، أحدث دويا هائلا كهزيم الرعد القاصف اهتزت له المدينة، و تحطم زجاج النوافذ فيها، و تطايرت أحجار البناء الفخمة في الهواء إلى مسافات بعيدة، و سقط بعضها على من فيه من الذعّار والشطار فهلكوا عن آخرهم. و يقدر عددهم بثلاثين إنساناً تقريبا بات المكان بعدها مزقا محطمة وأطلالا خاوية».

لم يكن وجود مشهد الإمام الحسين بحلب مقتصرا على الاحتفالات الدينية والمناسبات التاريخية، بل كان إلى جانب ذلك مركز إشعاع للعلم والمعرفة، يقصده الناس لينهلوا من موارد العلم الصافية ما يطفئ تعطشهم الى العلم والمعرفة، و كان يتردد عليه ويلتقي فيه أكثر من عالم ومجتهد لكل مقره ومحرابه، يتعبد فيه ويلقي دروسه على رواد العلم وقد ذكر الغزي في كتابه«نهر الذهب» عند الحديث عن الشيعة في قرى ولاية حلب نبّل والفوعة وكفريا قوله: «و فيهم علماء يسافرون في طلب العلم إلى بغداد ومشهد الحسين».

أما الإحتفالات التي كانت تقام فيه فأهمها احتفال يوم عاشوراء..



و كان الناس يخرجون في هذا اليوم إلى المشهد حيث تقام وليمة حافلة يحضرها الوالي ومن دونه، فيتلى شيء من القرآن الكريم وصحيح البخاري وقصة المولد النبوي وتنشد مرثية ابن معتوق في سيدنا الحسين التي أولها:

هل المحرم فاستهل مكبرا
وانثر به درر الدموع على الثرى

ثم يأكل الجميع وينصرفون. . و في اليوم السابع والعشرين من شهر رجب يخرج الناس إلى المشهد المتقدم ذكره، و يخرج الوالي ومن دونه، و تعطل الحكومة. فيسمعون فيه قصة الإسراء والمعراج ويسقون الشراب ويطعمون الحلوى وينصرفون. و كانت النفقة في ذلك تصرف بواسطة الخزينة السلطانية الخاصة التي تجبى غلات القرى الموقوفة عليه، و هي:أبو الهويل وكفر هرارة ودلامة، و لما صارت هذه القرى مضبوطة للخزينة المالية كانت النفقة المذكورة تنفق في بيت المال.

و قد أحيط المشهد بأبنية وبساتين مشهورة كبستان الشريطي تجاه بابه، و فيه دولاب وغرّاف وناعورة. و في الجهة الجنوبية منه بستان الدبس، و شرقا نهر قويق والجزيرة بالإضافة إلى الأبنية التي كانت على رأس جبل الجوشن أهمها عمارة عبد القادر بن طه بن عباس (الجبلي) أحد أعلام حلب المتوفى سنة ١٣٣٨ هـ-١٩١٩ م.

وكثيرون هم الذين كانوا يقدمون الهدايا والهبات للمشهد بدءا من السلطان، و حتى عامة الناس. و يذكر الطباخ في الجزء الخامس من تاريخه أن نور الدين الصابوني المتوفى سنة ٩٤٥ هـ ١٥٣٨ م كان يرسل إلى المشهد القناديل الفضة وغيرها. و هناك العديد من الأوقاف من قبل الملك

الظاهر غازي ونور الدين محمود، ولأحمد بهاء الدين الزهراوي أوقاف للجامع الكبير ومشهد كربلاء ومشهد الحسين مؤرخ عام ١٠٦٦ هـ-١٦٥٥ م.
و إلى الجنوب من المشهد يوجد مقبرة صغيرة مربعة الشكل هي مقبرة بني الزهراء حيث دفن فيها أبو المكارم حمزة الإسحاقي الحسيني نقيب السادة الأشراف وأحفاده من بعده. و كذلك دفن جانب المشهد محمد بن علي المازندراني المعروف بابن شهر آشوب، وكذلك يحيى بن حميدة وأحمد بن منير الطرابلسي والأديب الذي كتب على قبره:

من زار قبري فليكن موقناً
إنّ الذي ألقاه يلقاه
فيرحم الله امرءاً زارني
وقال لي: يرحمك الله

الكتابات:
أول ما يطالعك من الكتابات كتابة المدخل وهي بالقلم الثلث ونصّها:
(بسم الله الرحمن الرحيم عمر مشهد مولانا الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام في أيام دولة مولانا الملك الظاهر العالم العادل سلطان الإسلام والمسلمين سيد الملوك والسلاطين أبي المظفر الغازي ابن الملك الناصر يوسف بن أيوب ناصر أمين المؤمنين في شهور سنة وست وتسعين و خمسماية)
و على جانبي المدخل من اليمين والشمال كتب بالخط الثلث ما يلي:
على اليمين: (بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صلّ على محمد النبي وعلى الوصي والحسن المسموم والحسين الشهيد المظلوم وعلى زين العابدين ومحمد الباقر علم الدين وجعفر الصادق والأمين).
و على اليسار: (و موسى الكاظم الولي وعلي الطاهر الرضي ومحمد البر التقي وعلي الهادي النقي والحسن العسكري وصاحب الزمان الحجة المهدي. واغفر لمن سعى بهذا المشهد بنفسه ورأيه وماله).
و في أعلى إيوان المشهد كتب بالخط الثلث في سطرين ما يلي:
(بسم الله الرحمن الرحيم اللهم صل على محمد المصطفى وعليٍّ المرتضى وفاطمة الزهراء والحسن المجتبى والحسين الشهيد وعلي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق و موسى الكاظم وعليٍّ الرضا ولد الجواد وعليٍّ الهادي والحسن العسكري ومولانا محمد ابن الحسن القائم بأمر الله تعالى).
و كتب فوق المحراب: (صنعة أبي عبد الله وأبي الرجاء ابني يحيى الكتاني رحمهما اللّه).

وكتب على أحد جوانب المشهد حماسة الحسين (ع) في ميدان الشهادة

أنا ابن علي الخير من آل هاشم	**كفاني بهذا مفخراً حين أفخر**
وجدّي رسول الله أكرم من مضى	**ونحن سراج الله في الأرض نزهر**
و فاطمة أمي ابنة الطهر أحمد	**وعمي يدعى ذو الجناحين جعفر**
وفينا كتاب الله أنزل صادعاً	**وفينا الهدى والوحي بالخير يذكر**
ونحن أمان الله في الخلق كلهم	**نسرّ بهذا في الأنام ونجهر**
ونحن ولاة الحوض نسقي محبّنا	**بكأس وذاك الحوض للسقي كوثر**
فيسعد فينا في القيام محبّنا	**ومبغضنا يوم القيامة يخسر**

الدكتور محمد الحريثاتي



ثورة الإمام الحسين عليه السلام وموقعها في مسار الأمة الإسلامية

تعتبر ثورة الإمام الحسين بن علي عليهما السلام من أهم الأحداث التاريخية التي ساهمت في صياغة الثورات التاريخية التي تفجرت على الساحة، بعد حادثة كربلاء، وفي تكوين الخط السياسي العام لمدرسة أهل البيت عليهم السلام .

ومن هنا لا يمكن لباحث في التاريخ أن يتوفّر على دراسة تاريخ الحقبة الاموية، وما عجّت به من ثورات وتناقضات واحداث عظيمة، ما لم يتناول آثار ثورة الحسين عليه السلام في المجتمع الإسلامي بشكل عام، وفي مجتمع مدرسة أهل البيت عليهم السلام الذي تركز وجوده في الكوفة والبصرة، وبعض المدن العراقية الاخرى، وبعض مدن فارس.

هذه العلاقة الاساسية، بين ثورة الحسين عليه السلام والتاريخ الثوري لمدرسة أهل البيت عليهم السلام ، تستدعي إعطاء مزيد من الاهتمام بآثار ثورة الحسين عليه السلام وانعكاساتها في المجتمع الاسلامي، ويمكن دراسة تلك الآثار ضمن المحاور التالية:

تأثيرات ثورة الإمام الحسين عليه السلام في البعد الوجداني

لكل ثورة ناجحة، أو فاشلة، نصيب في الفعل والتأثير في حياة الأمة، وحجم هذا التأثير وأبعاده وميادينه ينبع من هوية الثورة وأهدافها، ومدى ارتباطها بالأمة وقيمها، ونوعية القيادة التي اشرفت عليها. وحيث إنّ ثورة الحسين عليه السلام استهدفت الإطاحة بالحكم الأموي الذي يمثل بؤرة ظلام وظلم وطغيان في حياة الأمة، وحيث إن الإمام الحسين عليه السلام من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، ومهبط الملائكة، وحيث إن شهادته زخرت بالمآسي والمحن... أثرت تأثيرا مباشرا وحيويا، وممتدا في واقع الأمة، وفي تشكيل خطها السياسي.

من هنا فإن آثار ثورة الإمام الحسين عليه السلام هزّت ضمير الإنسان المسلم، والمجتمع الاسلامي، وساهمت في بناء المستقبل، وشاركت في صياغة الأحداث المصيرية للأمة، ومن هذه الميادين، البناء العاطفي للانسان المسلم، من خلال معالجة الجوانب المرضية في اشواقه وعواطفه.

والذي يهمنا من هذا الجانب، هو دور شهادة الإمام الحسين عليه السلام في معالجة الواقع العاطفي لأهل الكوفة، وإنقاذهم من مرض الازدواجية، وكيف استطاعت تلك الشهادة إعادة التوازن للمجتمع الشيعي، وتوحيد الجانب العاطفي مع خياراته السياسية، والذي تجسد بكل وضوح وجلاء في اندفاع «التوابين» وثورتهم ضد الحكم الاموي، وصحيح أن الإمام كان ضحية لهذا التناقض في المجتمع الكوفي، إلاّ أنَّ شهادته عليه السلام المأساوية دفعت مجتمع الكوفة إلى مراجعة الذات، والندم، والتوبة، والاصرار على الخروج من هذه الحالة التي أدت إلى نتائج مروعة، فثمة تناقض عاشه اكثر الكوفيين، بين قناعاتهم الفكرية والسياسية التي آمنوا بها، وبين مواقفهم السياسية العملية، ففي كثير من المواقف مارس هؤلاء موقفا عمليا متضادا مع قناعاتهم وفي أحيان أخرى اتخذت هذه الحالة أسلوب التقاعس والضعف عن

التطابق العملي مع تلك القناعات، دون أنْ تبلغ درجة التضاد.

ويبدو أن هذه الحالة كانت ملحوظة في الكوفة في عصر الإمام علي عليه السلام وما بعده، فمثلاً نلحظ كلمات للإمام علي عليه السلام وهي تشير إلى هذه الحالة فقد قال عليه السلام : «إنّهم اناس مجتمعة ابدانهم، مختلفة اهواؤهم، وأنّ من فاز بهم فاز بالسهم الأخيب وأنّه أصبح لا يطمع في نصرتهم ولا يصدق قولهم».

ونجد كذلك بعض الكلمات لبعض الهاشميين وغيرهم في وصف تلك الحالة، فابن عباس يقول للامام الحسين عليه السلام حين عزم على الذهاب إلى الكوفة: «إنّ أهل العراق قوم غدر فلا تقربنهم». وقال الفرزدق وهو يصف أهل الكوفة للإمام الحسين عليه السلام حين لاقاه في الطريق: «قلوب الناس معك وسيوفهم مع بني امية».

وحين شاهد الإمام زين العابدين بكاء أهل الكوفة على الحسين قال متعجبا: «إنّ هؤلاء يبكون وينوحون من اجلنا فمن قتلنا؟!»!!.

وهذه الكلمات والمواقف العملية تكشف عن تناقض ينطوي عليه أهل الكوفة بين قناعاتهم، ومواقفهم العملية، حيث يتغاير موقفهم العملي من موقفهم العقيدي في بعض الاحيان.

وبالطبع، فهذه الحالة الشاذة التي ميزت الكوفة، لم تلغ عنها طابعها التاريخي الثابت، بوصفها قاعدة أهل البيت عليهم السلام ومركز الموالين لهم، فقد قال الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام وهو يمدح أهل الكوفة: «يا أهل الكوفة انتم اخواني وانصاري واعواني على الحق بكم اضرب المدبر، وارجو اتمام طاعة المقبل».

فأجابوا: «سر بنا يا أمير المؤمنين حيث احببت فنحن حزبك وانصارك نعادي من عاداك، ونشايع من أناب اليك والى طاعتك، فسر بنا إلى عدوك كائناً من كان، فإنّك لن تؤتى من قلة ولا ضعف فإنّ قلوب شيعتك كقلب رجل واحد في الاجتماع على نصرتك والجد في جهاد عدوك، فأبشر يا أمير المؤمنين بالنصر، وأشخص إلى أي الفريقين أحببت (أي فريق معاوية والخوارج)، فإنّا شيعتك التي ترجو في طاعتك وجهاد من خالفك صالح الثواب من الله، وتخاف من الله في خذلانك والمتخلف عنك شديد الوبال».

وبهذا يزول ما يبدو من تناقض في النصوص. كما يصفهم الإمام الحسين ابن علي عليه السلام في جوابه لسليمان بن صرد: «اما بعد فإنّكم شيعتنا وأهل مودتنا ومن نعرفه بالنصيحة والاستقامة لنا».

إنّ حالات التخاذل المريرة، التي أبداها أهل الكوفة لأهل البيت في المواقف الحرجة نابعة من حالات الضعف، ولا تعبّر عن موقف تاريخي ثابت لأهل الكوفة، بل إنّ طابع الكوفة التاريخي المميز أنها مركز لشيعة أهل البيت عليهم السلام ، ومن الضروري، تحليل هذه الظاهرة ومعرفة منشئها ومنابعها، وبالتالي موقع شهادة الإمام الحسين عليه السلام في علاج هذه الظاهرة الخطيرة، ويمكن تشخيص منابعها بما يلي:

١. تبرز حالة عدم التطابق هذه في الظروف والمواقف التي تتطلب موقفاً مبدئياً مصحوباً بثبات ذلك الموقف مع تحمل الشدائد والصعوبات التي تنشأ من ذلك الالتزام.

٢. وتبرز هذه الحالة في ظروف القسر والإكراه والإجبار على اتخاذ موقف مغاير لموقفهم الفكري، واعتقادهم الوجداني.

ولعل موقف أهل الكوفة من مسلم ابن عقيل يمثل نموذجا لهذه الحالة، حيث أكرههم عبيد الله بن زياد - بحد السيف - على التخلي عن مسلم، ففي مثل تلك الظروف، تظهر حالة عدم التطابق بين الخط الوجداني والفكري، وبين الموقف العملي.

٣. كما وقد تبرز في ظل العروض المغرية، التي تستهوي بعض الناس ظواهر الاندفاع نحو السلوك العملي المضاد لقناعاتهم وخياراتهم السياسية.

هذه في تقديرنا أهم منابع ظاهرة عدم التطابق بين الموقف الوجداني والموقف العملي.



والـذي يلاحـظ سياسـة عبيـد الله بن زيـاد في مواجهـة الاوضاع المستجدة التي تمخضت عن مجيء مـسلم بن عقيل إلى الكوفة، يجد أنها مارست الخطوط الثلاثة مجتمعـة، الأمر الـذي ادى إلى ظهور حالة التناقض والشذوذ في هذا المجتمع، وبالتالي أدت إلى حدوث مأسـاة كربلاء.

و في ضـوء معرفـة حقيقـة اتجـاه أهل الكوفة وهويتهم وتميزهـم بتلك الظاهرة يتجلى مـوقع شهادة الإمام الحسين واهل بـيته، في معالجة هذه الحالة المرضية.

ولا نريد أنْ نقول هنا إن الإمام استشـهد من اجل معالجة هذه الظاهرة، إنّما فرضت شهادته الدموية على أهل الكوفة خطا نفسيا وعمليا، يؤدي سـلوكه إلى الخروج من حالة الانفصال والازدواجية.

وبعبـارة أوضـح، إنّها فـرضت عليهم اليقظة والالتفات إلى حجم المأسـاة التي أدى اليها انسـياقهم مع حالة الازدواجية هـذه، حيـث أدّت إلى قتل سـبط رسـول الله(ص)، والى تسـلط عبيـد الله بـن زيـاد علـى أهل الكوفـة، وبالتـالي حثهم على اتخاذ موقف عملي يـردم الهوة بين الفكر والوجدان، وبين الواقع ومتطلباته، فجـاءت حركـة التوابـين تعبـيرا واضحا عـن هـذا الشـعور- أي إرادة اسـتعادة الهويـة العمليـة المتطابقـة مـع الهويـة الفكريـة والعاطفية-وكنتيجـة أساسـية لشـهادة الحسـين عليـه السـلام ، التـي صارت مركز اشعاع، لشـيعة أهل الكوفة لتوحيـد مسـارهم، ومواقفهـم العمليـة، تبعا لهويتهـم الفكرية الموالية لاهل البيت عليهم السـلام .

وعلـى امتـداد حركة التوابـين انفجرت حركـة المختار الثـقفي، و حـركة زيد بن علـي، بل وحركة أهل الكوفة في طرد عمرو بن حريث عامل بـني أمـية مـن الكوفة، وغيرها من الحركات والممارسـات الثورية التـي نبعت من درس كربلاء الأليم.

تأثيرات ثورة الحسين في البناء السياسي للمجتمع الإسلامي

وفي الوقت الذي سـاهمت ثـورة الإمام الحسـين عليـه السـلام في تشـييد البناء العاطفي في وجدان الإنسـان المسـلم، وفي تنبيه الضـمائر، ساهمت كـذلك في بعث الفكر الثوري، والسياسي السليم في الامة، ودفعـه للمشـاركة الحاسـمة في صناعـة مصيرها السياسـي، ويمكن الاشـارة إلى فكرتين اساسـيتين اثارتهما حادثة الطف، أو أجلـت الغبـار عنهمـا وهما:

١-المعارضـة الثوريـة للنظـام الاموي: لقد مارس مـعاوية بن ابي سفيان سياسة القمع والارهاب والتنكيل بالرأي المعارض، والصـوت الرافـض لمنهجـه وسياسـته المخالفة لأحكام الاسـلام، وسـنة رسـول الله(ص)، واسـتطاع بفعل سياسـة القتل والتدمير إسـكات أصوات المعارضة، وبعد تـولّي يزيد بـن معاوية الحـكم، تـعمقت هـذه السياسـة، واقترنت بالفسـاد واللهو والمجـون، وفي هـذه الاجـواء المشـحونة بالخوف والفسـاد، كانت الامة بحاجة إلى من يوقظ حسها الإسـلامي ويعارض هذه الاوضاع الشـاذة، ويأمـر بالمعروف وينهى عـن المنكر، مهمـا كان الثمن.

فانـبرى الإمام الحـسين عليه السـلام واعطـى للأمـة درسـا تاريخيـا في الامـر بالمعـروف والنهـي عن المنكر حتـى لو كان ثمن ذلـك حياة الإنسـان ، فلنسـتمع اليه وهـو يخطـب في اصحـاب الحر بـن يزيد الرياحي: «ايها الناس إنّ رسول الله (ص) قـال مـن رأى سـلطانا جائـرا مسـتحلا لحـرام الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسـنة رسـول الله(ص) يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلـم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقـا علـى الله أنْ يدخله مدخلـه، ألا وإنّ هؤلاء قد لزمـوا طاعة الشـيطان وتركوا طاعة الرحمن وأظهروا الفـساد وعـطلوا الحـدود واسـتأثروا بالفيء واحلوا حرام الله وحرّموا حلاله وانا احق من يغير...».

وبذلـك قطـع الإمـام عليـه السـلام بموقفـه الرسـالي حبل الصمـت الطويل، وانطلقـت صرخات، وسـيوف المـعارضة، وهـي تـلاحق الحكم الأموي وتنغص عليه لذاتـه بعـد شـهادة الإمام الحـسين عليه السـلام حتى اسـتطاعت اخيرا اسـقاط هذا الحكـم الجائر.

وهكـذا رسـم الإمـام الحسـين عليـه السـلام بشـهادته شـرعية معارضـة الطاغوت والظلم والاستبداد على صفحة التاريـخ الاسـلامي، في وقـت كـادت أنْ تـطفئ السياسـة الاموية الرهيبـة، روح المقاومـة والاعتراض علـى الظالمـين.

٢-أحقيـة أهـل البيـت بـالإمامة: مما لا شـك فيه أنّ أهل البيت عليهم السـلام أصحـاب الحق الشـرعي في قيـادة الامة، وهذا الحق ليس ناشئا – فقط – من كونهم أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة، واعرف النـاس بتفاصيل الرسالة، وأغناهم فكرا، واكملهم روحا، وأبعدهم عن معصية الله، وأقـربهم إلى طاعتـه، انّمـا لأن الرسـول (ص)، نص عليهـم، وأوجب علـى الامة طاعتهـم والانقياد اليهم.

الاّ انّ هـذه الحقيقـة الواضحـة، والتي أبرزها عمار بـن يـاسر وهـو يقول لعبـد الرحمن بن عـوف وللناس، داعما جانب الإمام علي عليه السـلام في مسألة الخلافة: «أيها النـاس إنّ الله عـز وجـل أكرمنا بنبيه واعزّنا بدينه فأنّى تصرفون هذا الامر عـن أهل بيـت نبيكم».

هـذه الحقيقـة الواضـحة، اصبحـت بـعد وفـاة الرسـول(ص)وبعد شـهادة الإمـام علـي بن أبـي طالب عليه السـلام غامضة في ذهن بعض قطاعات من الأمة، بفعل السـياسة التي اتبعها معاوية، والتي اسـتهدفت التقليل من موقـع الإمام علي وبنيه في الإسـلام وفـي قـيادة الامة.إلى أنْ تمخضـت تلـك السياسـة الجائرة عن تولّي مثل يزيد بن معاوية أمر الامة، وهـو

شارب الخمر، ضارب الطنبور، المغرم باللهو والفساد، كما يجمع المؤرخون على ذلك. ولم تعترض الامة على خلافة يزيد، باستثناء اشخاص معدودين، بل ويصل الحال، إلى أنْ يأخذ مسلم بن مسرف البيعة ليزيد من أهل المدينة على أنّهم عبيد ليزيد، يفعل بهم ما يشاء!!

وفي هذه الأجواء الملبدة بالتزوير والخوف والجهل بحق أهل البيت بالامامة وقيادة الامة، تصدّى الإمام الحسين عليه السلام ، وعالج هذه الحالة، من خلال تصدّيه الواعي للامامة وقيادة الامة، والاتصال بقواعده والموالين له في الكوفة، ومن خلال رفض البيعة ليزيد ابن معاوية. وبدأ الإمام الحسين عليه السلام في ذلك بكلمته الرائعة، للوليد ابن عتبة والي المدينة، حينما طلب منه البيعة ليزيد: «أيها الامير إنّا أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة، بنا فتح الله وبنا ختم ويزيد فاسق، فاجر، شارب الخمر، قاتل النفس المحرمة، معلن بالفسق والفجور ومثلي لا يبايع مثله».

ثم تحرك الإمام الحسين عليه السلام باتجاه الكوفة، بعد أنْ بايعه اهلها، من خلال كتبهم ورسائلهم التي ملأت خرجين ، وشرع عليه السلام في رفع الحجب التي خلقها الامويون حول أحقية أهل البيت بالامامة، بكلمات صريحة وواضحة، نقتطع فيما يلي جانبا منها، فقد قال عليه السلام، وهويخاطب الحر بن يزيد الرياحي وجنوده: «الا وإنّ هؤلاء لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء وأحلّوا حرام الله وحرموا حلاله وأنّا احق من غير، وقد أتتني كتبكم وقدمت علي رسلكم ببيعتكم أنّكم لا تسلمونني ولا تخذلونني فإنْ أتممتم علي بيعتكم تصيبوا رشدكم».

وهكذا راح الإمام الحسين عليه السلام يرفع عنهم حجب الجهل، ويبين لهم حقيقة الامر حتى بانت لبعضهم، والتحق بالامام الحسين الحر بن يزيد الرياحي. وبكلماته الصريحة وخطبه الحاسمة، واخيرا شهادته، تمزّقت الحجب التي نسجها الامويون حول (حق أهل البيت بالامامة) والثمرة الأولى لهذه الأفكار التي كشفتها ثورة الإمام الحسين عليه السلام ...كانت ثورة التوابين.

انعكاسات شهادة الإمام الحسين عليه السلام في تطوير العمل العسكري المعارض للأمة

ثورة الإمام لحسين عليه السلام ضد الحكم الاموي، مزقت الاغطية الشرعية التي تلفع بها النظام. وكان يحرص عليها لخداع الناس، وفرض طاعة معاوية ويزيد وأمثالهما على الامة.إذ إنّ الإمام الحسين كان يحظى باحترام وتقدير الامة، فهوابن الرسالة وابن الرسول وابن فاطمة الزهراء، فموقفه ضد الحكم الاموي، علامة فارقة للذين لم يعرفوا حقيقة يزيد ابن معاوية، وأنّه رجل غاصب لحق أهل البيت، فاسق فاجر قاتل للنفس المحترمة، فكيف تجوز طاعة من يجب اقامة حدود الله عليه نفسه؟!

كما أنّ شهادة الإمام عليه السلام وأصحابه وأهله، بتلك الصورة المفجعة الوحشية كشفت هي الأخرى، عن همجية الخط الأموي ووحشيته، واستعداده للقيام بابشع الاعمال، من اجل الحفاظ على سلطانه، وبذلك تحولت شهادة الإمام عليه السلام -بحد نفسها- الى هدف وقضية يسعى الصالحون والاخيار من ابناء الامة للثأر لها والانتقام من مرتكبيها.

وتأتي ثورة التوابين في مقدمة الثورات التي اتصلت بشهادة الإمام الحسين عليه السلام ، واستمدت منها دوافع انطلاقها وحركتها، فقد كتب سليمان بن صرد الخزاعي، وهويوضح هذه العلاقة الوثيقة بين حركته وشهادة الإمام الحسين، إلى سعد بن حذيفة اليمان وشيعة المدائن، وهويطلب منهم المشاركة في التعبئة العسكرية العامة لاعداد الجيش والقوة اللازمة لمحاربة الجيش الاموي: «إن اولياء الله من اخوانكم وشيعة آل نبيكم نظروا لأنفسهم فيما ابتلوا به من أمر ابن بنت نبيهم الذي دعي فأجاب ودعا فلم يجب...فلما نظر إخوانكم وتدبروا عواقب ما استقبلوا رأوا أنّ قد أخطأوا بخذلان الزكي الطيب واسلامه وترك مواساته والنصر له خطأ كبيرا ليس لهم فيه مخرج ولا توبة دون قتل قاتليه أو قتلهم حتى تفنى على ذلك ارواحهم فقد جدّ اخوانكم فجدّوا واعدوا واستعدوا».

كما انطلقت الحركات العسكرية في ارجاء العالم الإسلامي ضد الحكم الاموي، ففي مدينة الرسول، خلع اهلها يزيد بن معاوية، وطردوا واليها الاموي، كما طردوا جميع الامويين من تلك المدينة، وفي مكة اعلن ابن الزبير التمرد على حكم يزيد، مستغلا بذلك الظروف الجديدة التي نشأت بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام.

ثم لم تتوقف حركة الثورة ابدا، فقد ظلت الساحة ملتهبة في وجه الحكم الاموي، حتى استطاعت اسقاطه.

نوري حاتم



الإمـــام زين العابدين عليه السلام بعد واقعة كربلاء

يمثل الإمام علي بن الحسين عليهما السلام في دوره الريادي نهاية المرحلة الأولى من مراحل حياة الأئمة الطاهرين عليهم السلام، التي عاشوا فيها لمجابهة صدمة الانحراف التي وقعت في الأمة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، والعمل على الاحتفاظ بالإسلام كشريعة مستمرة دون أن يطالها التحريف، وبداية المرحلة الثانية التي اتجهت فيها جهود الأئمة عليهم السلام إلى إبراز وتحديد الإطار التفصيلي الخاص لخط التشيع، بوصفه الوجه الحقيقي المشرق للإسلام (المحمدي الأصيل).

وقد اتسمت فترة إمامته عليه السلام التي امتدت حوالي خمسة وثلاثين عاماً بالبعد عن المواجهة المباشرة لطواغيت زمانه، مما كوّن تصوراً خاطئاً عند بعض المؤرخين (بأن ائمة الشيعة الإمامية من ابناء الحسين عليهم السلام قد اعتزلوا بعد واقعة كربلاء السياسة، وانصرفوا إلى الإرشاد والعبادة والانقطاع عن الدنيا، ولعل سبب هذا التصور الخاطئ هو ما بدا لهم من عدم إقدامه على عمل مسلح ضد الوضع الحاكم، مع إعطاء الجانب السياسي من القيادة معنى ضيقاً لا ينطبق إلا على العمل المسلح.

والإمام السجاد عليه السلام كان يؤمن بأن تسلم السلطة وحده لا يكفي لتحقيق عملية التغيير إسلامياً، ما لم تكن السلطة مدعمة بقواعد شعبية واعية، تعي أهداف تلك السلطة وتؤمن بنظريتها في الحكم، وتعمل في سبيل حمايتها، وتفسير مواقفها للجماهير، وتصمد في وجه الأعاصير).

إلا أن هذا لا يمنع من قيام الإمام عليه السلام بدور قيادي سياسي غير مباشر، وآخر فكري وروحي واجتماعي مباشر.

الدور السياسي غير المباشر وذلك يتمثل بنحوين:

١. تحريك الضمير الثوري عند المسلمين والتركيز على استفزاز شعورهم بالإثم وضرورة التكفير عنه، وذلك للحفاظ على الضمير الإسلامي والإرادة الإسلامية من الانهيار والتنازل المطلق عن شخصيتها وكرامتها للحكام المنحرفين، وقد ألهب الإمام عليه السلام هذا الشعور بالإثم من خلال خطبه التي ألقاها في الكوفة والشام والمدينة، فمما قاله في أهل الكوفة:

«**أيها الناس، من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا علي بن الحسين المذبوح بشط الفرات من غير ذحل ولا تراث، أنا ابن من انتهك حريمه وسلب نعيمه وانتهب ماله وسبي عياله، أنا ابن من قتل صبراً فكفى بذلك فخراً.**

أيها الناس، ناشدتكم بالله: هل تعلمون أنكم كتبتم إلى أبي وخدعتموه وأعطيتموه من أنفسكم العهد والميثاق والبيعة وقاتلتموه وخذلتموه؟ فتباً لكم لما قدمتم لأنفسكم وسوءة لرأيكم. بأي عين تنظرون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أمتي؟»، فارتفعت أصوات الناس بالبكاء.

وأما في الشام، فما أن بلغ الإمام من خطبته إلى موضع انتسابه إلى أبيه الحسين عليه السلام، قائلاً: «**أنا ابن الحسين القتيل بكربلاء، أنا ابن المرمل بالدماء، أنا ابن من بكى عليه الجن في الظلماء، أنا ابن من ناح عليه الطير في الهواء**»، حتى ضج الناس بالبكاء والنحيب وخشي يزيد الفتنة (أي أن يثور الناس عليه)، فأمر المؤذن أن يؤذن للصلاة، فقام المؤذن وقال: الله أكبر الله أكبر قال الإمام عليه السلام: «**نعم، الله أكبر وأعلى وأجل وأكرم مما أخاف وأحذر**»، **فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، قال عليه السلام:** «**نعم، أشهد مع كل شاهد وأحتمل على كل جاحد أن لا إله غيره ولا رب سواه**»، فلما قال: أشهد أن محمدا رسول الله، أخذ عليه السلام عمامته عن رأسه وقال للمؤذن: «**أسألك بحق محمد أن تسكت**»، ثم أقبل على يزيد وقال: «**يا يزيد، هذا الرسول العزيز الكريم جدي أم جدك؟ فإن قلت إنه جدك، يعلم العالمون أنك كاذب، وإن قلت إنه جدي، فلم قتلت أبي ظلماً وعدواناً وانتهبت ماله وسبيت نساءه؟ فويل لك يوم القيامة إذا كان جدي خصمك**».

وأما في المدينة، فأخذ خطاب الإمام شكل النعي لأبيه الحسين عليه السلام، ومما قاله: «**أيها القوم، إن الله، وله الحمد، ابتلانا بمصائب جليلة وثلمة في الإسلام عظيمة: قتل أبو عبد الله الحسين عليه السلام وعترته، وسبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عالي السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية.**

أيها الناس، فأي رجالات منكم يسرّون



بعد قتله؟ أم أي فؤاد لا يحزن من أجله؟ أم أي عين منكم تحبس دمعها وتضمن عن انهمالها؟»، إلى آخر خطبته عليه السلام.

فالملاحظ أن الإمام عليه السلام بيّن في خطبه هذه فداحة الخطب وعظم المصاب وفظاعة الجريمة، التي ارتكبها يزيد بحق الإمام الحسين عليه السلام وبحق الإسلام والرسول صلى الله عليه وآله وسلم من جهة، ومن جهة أخرى أثار وجدان وضمير الناس، وحفزهم للثورة على هذا الحاكم الظالم والنظام الغاشم.

٢. دعمه وتأييده للثورات التي قامت ضد السلطة الأموية الطاغية، (فنراه يصدر بياناً عاماً ويثني ثناء حارا على كل مسلم يقوم بالثورة ضد الحكام المنحرفين، فحينما جاءه عمه محمد ابن الحنفية مع رسول المختار الثقفي ليستشيره في طلب المختار الثورة، أجابه ببيان عام لم يكن يخص المختار فقط، بل إن بيانه يشمل كل مسلم يقف ثائراً بوجه ظلم بني أمية وحكمهم المنحرف).

أضف إلى ذلك أن الإمام السجاد عليه السلام ترحم على المختار لاقتصاصه من قتلة الإمام الحسين عليه السلام، لاسيما عبيد الله بن زياد الذي بعث المختار برأسه إلى الإمام عليه السلام، كما نقرأ في الزيارة الموجودة على قبر المختار في الكوفة.

(فتخلّي الإمام عليه السلام عن العمل الثوري المباشر واكتفاؤه بالتأييد والإسناد والثناء على القائمين به، لا يعني تخليه عن الجانب السياسي من القيادة وانصرافه إلى العبادة، وإنما كان يعبر عن اختلاف صيغة العمل السياسي التي تحددها الظروف الموضوعية التي عاشها الإمام زين العابدين عليه السلام).

وتجدر الإشارة هنا إلى أن سلسلة من الثورات العلوية على السلطة الأموية قادها وتزعمها الشهيد زيد بن علي بن الحسين عليهم السلام وذريته من بعده، وكان لها أثرها البالغ في تقويض حكم بني أمية زوال ملكهم وسلطانهم.

الدور الفكري والروحي والاجتماعي

يعتبر الإمام علي بن الحسين عليهما السلام المؤسس الثاني للمدرسة الإسلامية، إذ إن جده أمير المؤمنين علياً عليه السلام هو المؤسس الأول لها، فكان يتخذ عليه السلام من المسجد النبوي ومن بيته مدرسة يلتف حوله فيها طلاب العلم الوافدون من كل مكان ويزدحمون عليه، لينهلوا من معين علمه ويستضيئوا بنور فكره وحكمته ويقتدوا به في مكارم أخلاقه. وأصبح تلامذته فيما بعد بناة الحضارة الإسلامية ورجال فكرها وتشريعها وأدبها الإسلامي.

وقد ذكر الشيخ المفيد أنه قد روى عنه الفقهاء من العلوم ما لا يحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء.

وقد جابه الإمام عليه السلام المشاكل والعقبات الفكرية التي كانت تهدد كرامة الدولة الإسلامية، وتعجز الزعامات المنحرفة عن حلها، بصفته المثل الحقيقي للإسلام، كما في المشكلة التي أحدثها كتاب ملك الروم إلى عبد الملك بن مروان، إذ عجز الأخير عن الجواب، فملأ علي بن الحسين عليه السلام هذا الفراغ وأجاب بالشكل الذي يحفظ للأمة الإسلامية هيبتها.

ومن آثاره المدونة والتي تعتبر من أوائل التصانيف في صدر الإسلام:

١. الصحيفة السجادية الكاملة: اعتمد الإمام أسلوب الدعاء كطريقة جديدة يواجه بها تلك الظروف القاسية التي عاشها، موجها من خلالها أبلغ الرسائل في بناء الأمة وتوجيهها نحو الله والآخرة وحضها على إقامة العدل ومواجهة الظلم.

٢. رسالة الحقوق: وهي من الأعمال الفكرية السامية في الإسلام، تحتوي على توجيهات وتعليمات وقواعد في السلوك العام والخاص من أدق وأروع ما عرفه الفكر الإنساني.

محمد عباس هادي



كربلاء ثورة متصلة بنهضة الإمام المهدي

محمد توفيق

كان شعار الثورة التي قادها الإمام الحسين عليه السلام في مواجهة الحاكم الظالم والمنحرف (يزيد بن معاوية) هو (الإصلاح) كما قال عليه السلام: «... وإنما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي رسول الله صلى الله عليه وآله، أريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، فمن قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن رد عليّ أصبر حتى يحكم الله...».

والإمام المهدي عليه السلام هو الذي ستتحقق على يديه دولة الحق والعدل الإلهيين، ويحقق شعار (الإصلاح) الذي حمله جده الإمام الحسين عليه السلام.

وما بين الثورتين في المرحلة الفاصلة هي ساحة الجهاد والصراع ضد كل قوى الفساد والظلم والجور من أجل أن يتمكن الإنسان المجاهد من الانتصار في مكان أو الاستشهاد في مكان آخر، ليبقى صوت الحق مرتفعاً وعالياً حتى لا يسيطر الانحراف على كل الحياة الإنسانية من كل جوانبها.

ويمكننا بالرجوع إلى المرحلة الفاصلة أن نلاحظ ثلاثة أقسام مر بها العاملون في سبيل الحق وفي طريق إعلاء كلمة الله عزّ وجل، وهذه الأقسام هي التالية:

القسم الأول: زمن الأئمة من بعد الحسين عليهم السلام إلى زمن الغيبة الصغرى

وفي هذه المرحلة نلاحظ أن الأئمة تعرضوا فيها لمضايقات عديدة من العهدين الأموي والعباسي لادراكهم القيمة الإيمانية والمعنوية العالية لأشخاص الأئمة في نفوس وقلوب أبناء الأمة الإسلامية، وابرز المضايقات كانت في الحجر على أولئك الأئمة العظام من الاتصال والتواصل مع الناس والجماهير إلا في فترات قصيرة نسبيا خصوصا في زمن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، حيث كان الصراع بين الأمويين والعباسيين على أشده للاستيلاء على السلطة من جانب العباسيين والامساك بها من جانب الأمويين، وكانت تلك الفترة الفرصة الذهبية لنشر أحكام الإسلام المحمدي الأصيل خصوصاً في زمن الإمام الصادق عليه السلام الذي استغل تلك الفرصة ونشر الأحكام بشكل مباشر، ومن خلال الذين تتلمذوا على يديه وانطلقوا في أرجاء العالم الإسلامي ينشرون فقه آل محمد (فقه الإسلام الأصيل) وينشرون مفاهيمه السليمة عن التزييف والتحريف لكن للأسف فإن تلك الفترة انتهت عندما سيطر العباسيون على الحكم من خلال انتصارهم على الأمويين وتشريدهم في

البلاد الإسلامية، وعند ذلك اشتدت المضايقات أكثر على الأئمة عليهم السلام لأن العباسيين انتصروا على الأمويين بشعار (يا لثارات الحسين عليه السلام)، ذلك الشعار الذي جعل الكثير من المسلمين المضطهدين من السلطة الأموية يسيرون تحت اللواء العباسي للتخلص من تلك السلطة الدموية التي سفكت دماء أتباع الأئمة ومحبيهم حتى على مستوى الشخصيات الكبيرة كحجر بن عدي وميثم التمار وعمار بن ياسر وغيرهم كثير ممن صحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي هذه المرحلة انصرف الأئمة ومن خلال بعض الأصحاب القليلين الذين كانوا يخاطرون بالاتصال بهم ليكونوا الواسطة بين الأئمة وبين أبناء الأمة الإسلامية، كما كان الأئمة في هذا المجال يمدون يد العون بطرق سرية لكل الثورات التي قامت في مواجهة السلطتين الظالمتين، لأن انكشاف مساعدتهم كان يمكن أن يعرضهم للقتل مباشرة أو للسجن كما حدث مع الإمام موسى الكاظم عليه السلام الذي أمضى ثمانية عشر عاما من عمره الشريف متنقلاً قهراً عن إرادته في سجون العباسيين خوفاً منه ومن أتباعه المنتشرين في كل أرجاء العالم الإسلامي.

وقد تميزت هذه المرحلة من حياة الأئمة بالتدوين للسيرة النبوية وحديث الأئمة عليهم السلام، كما عمل الأئمة خصوصاً بعد عصر الرضا عليه السلام إلى إيجاد نظام الوكلاء الذين كانوا ينوبون عنهم في التواصل مع الناس على مستوى تبليغ الأحكام واستلام الحقوق الشرعية وغير ذلك مما له ارتباط بحياة الناس اليومية وبقضاياهم العامة وخصوصا المصيرية منها.

وباختصار يمكن القول إن حياة الأئمة بعد الحسين عليه السلام وحتى بداية الغيبة الصغرى كانت محاولة تثبيت العقيدة السليمة في النفوس في مواجهة أساليب التحريف والتزييف التي كان يسلكها الحكام الظالمون بالتعاون مع بعض بائعي آيات الله وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم بثمن بخس لتحسين صورة أولئك المغتصبين للسلطة والقابضين على الأمور بغير وجه حق.

القسم الثاني: زمن الغيبة الصغرى

وهي الفترة التي استمرت من عام ٢٦٠هجرية عام وفاة الإمام العسكري عليه السلام وانتهت في عام ٣٢٨ للهجرة أو ٣٢٩ هجرية وتناوب عليها أربعة سفراء للإمام عليه السلام ليكونوا الواسطة بينه وبين الناس من خلال اتصالهم بالإمام الحجة عليه السلام، ونقلهم الأحكام والتكاليف إلى الناس، وسبب هذه الغيبة الصغرى هي تعويد أتباع الأئمة على غيابهم عن الساحة بشكل مباشر، ولا شك أن هذه العادة وهي (الفراغ من وجود شخص المعصوم عليه السلام والرجوع إلى النائب عنه) كانت محتاجة إلى فترة ليست بالقليلة حتى تعتاد الناس على ذلك، وعندما تحققت الغاية من الغيبة الصغرى كان الناس قد اعتادوا على غياب الإمام المعصوم عليه السلام والرجوع إلى العلماء، ولهذا عندما مات السفير الرابع ولم يعيّن الإمام سفيرا غيره، عرف الأتباع لخط الأئمة عليهم السلام أن الغيبة الكبرى قد بدأت إلى اليوم المعلوم عند الله عز وجل والمجهول عندنا كليا حتى يأذن الله لوليه بالخروج ليقوم بوظيفته التي ادّخره من أجلها.

القسم الثالث: زمن الغيبة الكبرى

وهي التي بدأت منذ موت السفير الرابع وما زالت مستمرة حتى عصرنا هذا وستستمر حتى خروج الإمام المنتظر عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهذه الفترة قد مضى عليها حتى الآن ما يقرب من ألف ومائة عام، وقد عانى خلالها أتباع الأئمة عليهم السلام الكثير من المضايقات والأذى حتى السجن والقتل والتهجير وغير ذلك، لكن كل ذلك لم يمنعهم من أن يبقوا مستمرين في خط الولاية والطاعة للأئمة عليهم السلام الذين ضحوا بكل شيء وكانوا النموذج والقدوة والمثال لأتباعهم وأنصارهم.

وفي هذا القسم الطويل كان الفقهاء والمراجع هم الملاذ والملجأ الذي يرجع إليه الشيعة لأخذ معالم دينهم وأحكامهم المرتبطة بحياتهم اليومية وشؤونهم العامة، وفي هذا القسم الطويل حرّم الأئمة على أتباعهم الدخول في طاعة الخلفاء المغتصبين للخلافة لأنهم لن يسيروا بطاعة الله عز وجل، والرجوع إلى التاريخ الإسلامي منذ بداية الغيبة الكبرى حتى الآن يؤكد هذه الحقيقة بشكل واضح وجلي، وكانت التقية هي السلاح الفعال الذي استند إليه أتباع الأئمة عليهم السلام للبقاء على قيد الحياة من جهة، وللبقاء على الالتزام بخط ونهج أئمة أهل البيت عليهم السلام، وكان المراجع هم العين الساهرة والمصوّب لمسيرة خط التشيع في زمن الغيبة الكبرى كما هو الحال في زماننا حيث تأخذ المرجعية هذا الدور وتمارسه بكل جدارة واقتدار خصوصا بعد زوال ما كان يسمى بـ(الخلافة الإسلامية) ونشوء صيغة الدول بمعناها المتعارف في هذا الزمن، حيث لم يعد الحاكم يحكم باسم خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل يحكم بصيغ مختلفة من بلد على آخر وفق القانون الذي يستند إليه كل شعب مسلم على امتداد عالمنا الإسلامي الكبير.

وقد أتاح هذا العصر للشيعة بالخروج من حالة العزلة والخوف على الدين وعلى

النفس، وبدأ الفكر الشيعي بالرواج والظهور شيئاً فشيئاً على يد العلماء الأعلام والمراجع العظام والمفكرين من أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام، وبرز الشيعة كعنصر فاعل في حياة الأمة الإسلامية، وتحققت القفزة الأصعب لإعادة المسلمين إلى الإسلام للتمسك به كبديل عن كل العقائد الفلسفية الوضعية التي صاغتها قوى الاستكبار في الشرق والغرب ليتخلى المسلمون عن إسلامهم لأنه صار جزءاً من التراث الإنساني الذي لم يعد له عمل أو تأثير في مسيرة الحياة الإنسانية في عصر العلم والنور كما يقولون والتقدم العلمي والتكنولوجي والتقني والقفزات النوعية في عالم الاتصال والمواصلات.

وكل ما قام به الشيعة في زمن الغيبة الكبرى هو من باب التمهيد لخروج الإمام الحجة المهدي القائم عجل الله تعالى فرجه الشريف، وهذا هو التطبيق العملي للحديث الوارد عن المعصومين عليهم السلام بأن «أفضل أعمال أمتي انتظار الفرج».

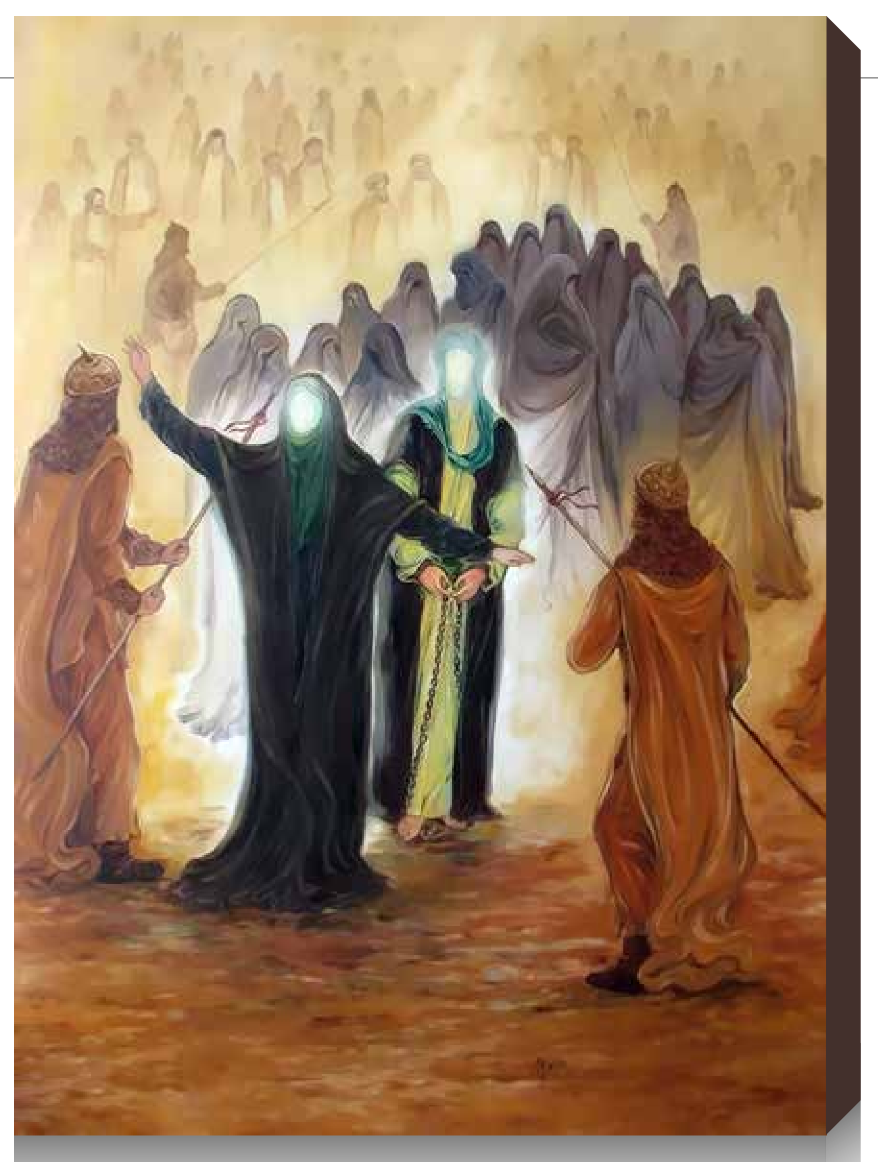
والانتظار لا يراد منه المعنى السلبي وهو القعود والتقاعس ومجرد الدعاء والجلوس في المساجد وترك الأمور تجري على طريقة الانحراف من دون مواجهة أو تصدّ من الملتزمين نهج المهدي عليه السلام والعاملين والمنتظرين لظهوره المبارك الذي سيكمل جهود كل الذين بذلوا المهج والأرواح وسهروا وتعبوا من أجل أن يبقى للحق صوت يدافع عنه وأن تبقى للحق راية مرفوعة تشكل النور ومشعل الهداية لكل الضالين والمنحرفين من أبناء هذه الأمة.

ولن يتوقف الجهاد والسعي مع ما تحقق من إنجازات كبيرة في هذا الزمن بل سيبقى أتباع خط أئمة أهل البيت عليهم السلام في مواقع الجهاد والدفاع والتمهيد لخروج القائم عليه السلام ذلك الإمام العظيم الذي يحمل تراث الأنبياء والأئمة عليهم السلام والمؤتمن على التراث الإلهي، لينشره بعد ظهوره في كل أرجاء المعمورة، وليملأ الدنيا عدلاً وقسطاً بعد أن يكون قد ملأها الكفار والمنافقون فسقاً وفجوراً، وعندئذ ستكون كلمة الله هي العليا، وكلمة الذين كفروا هي السفلى، وسيتحقق في زمن ظهوره المجتمع الإنساني الإلهي العابد، ولتنتهي الدنيا والحياة الإنسانية على الصورة المثالية التي أرادها الله للحياة البشرية أن تتحقق في كل زمن وكل مكان منذ أن خلق الله الإنسان ليكون خليفته في الأرض ويقوم بالوظيفة التي ائتمنه الله عليها، لكنه لم يستطع في أغلب مراحل التاريخ الحفاظ عليها وتخلى عنها لأسباب عديدة يجمعها حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «حب الدنيا رأس كل خطيئة».

ومن هنا نعتبر أن إقامة مجالس أبي عبد الله الحسين عليه السلام في موسم عاشوراء، كما في العديد من مناسباتنا الدينية أو الاجتماعية هي نوع من أنواع التمهيد للتذكير دائماً بمظلومية الحسين عليه السلام، وللتذكير الدائم بأن هناك إماماً منتظراً الإشارة للخروج للأخذ بثأر الحسين عليه السلام من كل الظالمين في عصره لأنهم الاستمرار المتولد من خط الانحراف والفساد الذي سوف يمحقه الإمام المهدي عليه السلام بعد خروجه، ولينتقم لدماء كل الشهداء الأبرار الذين استشهدوا في سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل.

ولهذا فإن الاستمرار في إقامة مجالس العزاء هو التعبير عن أن الهدف الذي حمله الحسين عليه السلام وهو (الإصلاح) ما زال غير متحقق في كل أرجاء المعمورة، وأن على المؤمنين والتابعين لخط الحسين والمهدي عليهما السلام أنْ يعملوا بكل طاقتهم وقوتهم من أجل تقريب الخروج من خلال الانجازات الايجابية كالتي تحققت في الفترة الأخيرة، لأنها تعطي الأمل الكبير بتحقيق الشعار الحسيني الخالد وهو (الإصلاح) الذي وإن لم نحققه كاملاً بجهودنا فهو سوف يتحقق بالكامل في زمن المهدي عليه السلام بعد خروجه وظهوره المبارك.

من هنا نفهم أن إقامة مجالس العزاء هي القاسم المشترك بين الأقسام الثلاثة للمرحلة الفاصلة بين الثورة الحسينية وبين نهضة المهدي عليه السلام التي ستتحقق قطعاً ويقيناً، وعلينا أن نعمل على توسيع رقعة الأعمال الإيجابية والابتعاد عن الأعمال السلبية، وبهذا نكون من العاملين بصدق وإخلاص في مرحلة الانتظار للخروج المبارك.



إعداد: شعبة الدراسات

سيدة الطف

(زينب بنت أمير المؤمنين علي عليهما السلام)

قد تصدى لدرس نهضة الحسين عليه السلام فلاسفة الشرق والغرب وكبار حملة الأقلام والعلماء من سائر الطوائف والأديان في مختلف الأقطار والعصور نظراً لما لها من الأهمية وعظيم الأثر في الدين والسياسة والاجتماع وبعد البحث والتدقيق اتفقت كلمة الجميع على الاستنتاج ولم يختلفوا على الثمرة التي توصلوا إليها من درسهم وتنقيبهم وهي أن غاية الحسين عليه السلام الوحيدة والهدف الذي يرمي إليه من نهضته هو أن يظهر للمسلمين وللناس كافة الأسرار التي يضمرها بنو أمية والكيد الذي تنويه للإسلام ونواميسه ولنبي الإسلام وأهل بيته وأن يزيد الذي تأمر على المسلمين باسم الدين والإسلام هو منه براء ويلعنه وأشياعه الدين والإسلام وأنّه ضال مضل لا يصلح أن يتولى أحقر أمر من أمور المسلمين فضلاً عن هذا المنصب الخطير الذي يملك به رقاب العباد ويكون أولى بالمؤمنين من أنفسهم.

ولهذه الغاية صحب معه الحسين عليه السلام إلى كربلاء نساءه وأطفاله لتظهر بهن أمية أحقادها ولا يخفى على الأعمى والأصم ضلالها وقد علم الحسين عليه السلام أن يزيد لابد أن يقتله ورجاله ويسبي نساءه وأطفاله ثم يقوم هو وأشياعه يبررون أعمالهم ويتأولون لقتله أنّه خارجي خرج لطلب التآمر والإمرة على الناس وسلب الأموال وانتهاك الحرمات وينشر الدعوة أنّ الحسين عليه السلام مستحق للقتل مستوجب لكل ما حل به كما نراه ونسمعه في كل مكان وحين من عمل الحكومات المتمدنة من قتل المصلحين وحبس الأبرياء باسم المجرمين.

نعم إن الحسين عليه السلام أيقن أنه مقتول لا محالة وأنّ ابن زياد سوف يخطب من على منبر الكوفة

والمسلمين بمشهد وبمسمع يقول: الحمد لله الذي قتل الكذاب ابن الكذاب ويجيب يزيد عندما يسأل عن الرأس والسبايا إنه رأس خارجي يعثو في الأرض الفساد ويأمر خطيبه في الشام بذم علي وأهل البيت وتزيين الشام فرحاً بالنصر وسروراً بقمع الثائرين المخلين بالأمن الساعين بين العباد في الفساد.

إذاً لابد من عالم قدير يعرف الحق ومن أهله وخطيب جريء لا تأخذه في دين الله لومة لائم لا يرهب القوة ولا يهاب من ابن زياد وبطشه ويزيد وطيشه يقف في وجههما كاشفاً عن وجه الحق وأنهما هما الطغاة الكفرة الخارجين من الإسلام مظهراً للمسلمين وجموع أهل الكوفة والشام أن الحسين عليه السلام قتل في سبيل الدين وإحيائه وما خرج إلا على الظلم وأهله ولم يمت إلا ليحيى العدل ويستنقذ الأمة من الظلم والاستعباد ويحرر رقابهم من العبودية والذل ويغل يد الظالمين عن الظلم ويرفع سلطة المستبدين عن الاستبداد ويعرف الناس بنوايا يزيد نحو الإسلام وأنّ روح جده أبي سفيان فرعون محمد صلى الله عليه وآله وسلم بين جنبيه.

رأى الحسين أنّه في حاجة إلى هذا المرشد الذي تجمعت فيه صفات الجلال والعظمة والجرأة والمقدرة وأنّه لولاه لذهبت الغاية المنشودة من جهاده واستشهاد رجاله ولذهبت دماؤهم الزكية على غير جدوى وبدون طائل ولكن من هو المبلغ لهذه الرسالة الكبرى والمؤدي لتلك الأمانة العظمى ولا يمكن القيام بهذا الحمل الثقيل إلا أحد أفراد أهل بيت النبوة ومعدن العدل والصدق فإن الحمل الثقيل لا يقوم به إلا أهله وأنّها أمانة لا تقوى النفوس على حملها إلا من عصمها الله وفطرت على الإيمان وطبعت على الحق ولا تسلك منهجاً سوى فكر الحسين بمن يؤدي هذه الرسالة ويقوم بهذا التكليف من أهل بيت الرسول وأبناء الوحي أما الرجال فسوف لا يتركون إمامهم وسيدهم بل يردون مورده ويستشهدون بين يديه ولا يبقى منهم أحد ووجد مطلوبه الذي لا تجعل البغية المنشودة إلا به وجده في النساء عند أخص الناس به وأقربهم إليه وأطوعهم لأوامره أخته زينب بنت أمير المؤمنين علي وبنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التي ورثت العلم والبلاغة والصبر والجلد عن آبائه والتي رسخ الإيمان في نفسها إلى حد لا تغلبه العاطفة ولا تضعفه القوة والشدة.

وهي وحدها التي بها الكفاءة أنْ تشاطر الحسين عليه السلام الجهاد فيتولى هو جهاد السيف والسنان وتجاهد هي في البيان واللسان ويقومان معاً لتأدية هذه الرسالة العظمى وإبلاغ الحجة التي بها إحياء الحق وإماتة الباطل فزينب هي التي ترد على ابن مرجانة ويزيد أباطيلهم وتفند أقوالهم وتلقي على أهل الكوفة والشام خطبها ناشرة لدعوته مبلغة حجته وحينئذ يتم مطلوب الحسين عليه السلام ويحصل له كل ما أراد وتربح تجارته ولا يكون مغبوناً بما نزل به وبأهله ما دامت أخته زينب كاشفة لأسرار نهضته مبطلة للدعايات الكاذبة إذ لابد وأن تكون رفيقته في سفره وشدة ساعة النزول والجهاد ومع رأسه عند يزيد وابن زياد لنعهما الله.

ثم إن هناك أمراً آخر له أهميته يقضي على الحسين أن يصحب معه زينب إلى كربلاء أمراً لا يقوم به غيرها ولا يسد سواها مسدها فالحسين عليه السلام لابد وأن يصحب معه نساءه وأطفاله لتظهر أحقاد أمية بأجلى مظاهرها وينكشف البغض الكامن في نفسها لدين الإسلام وأهله ولا يبقى حجاب تستر به نواياها السيئة وطغيانها الممقوت وإذا صحب الحسين عياله ورأت الأطفال والنساء ما ينزل به من القتل وبرجاله من الذبح فلابد أن تملكها الدهشة ويحل في قلوبها الذعر والخوف فإن النساء والأطفال التي تفقد المعرفة والإدراك إذا شاهدت القتل نازلا بوليها ملكتها العاطفة وأهلكت نفسها من حيث لا تشعر فإن لم يكن لها ولي يجمع شملها ويدبر أمرها هامت على وجهها في القفار وألقت نفسها في الهلاك وليس لهذه إلا من كانت لتلك وهي ابنة والده، زينب فهي الولي العاقل والوصي المدبر والناصح الأمين والأم الحنون فإن الصغار أولادها والنساء أخواتها وقد ألفتها من قبل وتعودن على عطفها فإذا فاجأهن الذعر والخوف لذن بها وكانت لهن عزاء وسلوة فتطيب خاطرهن وتسكن لوعتهن.

فوظيفة زينب يوم الطف القيام بهاتين الناحيتين (المحافظة على العيال، ونشر الدعوة الحسينية) وأنت إذا تأملت فيما يحتاجان إليه من المعرفة والمقدرة وقوة الإيمان والصبر عرفت ما لهما من الأهمية والعظمة وأنّه ليأخذك العجب كيف يطلب من زينب أن تسكن لوعة الأطفال والنساء عندما شاهدت المصيبة العظمى وإن وقع الرزية عليها أعظم وإحساسها أشد وأقوى وكيف تكون زينب لهن عزاء وسلوة فإذا بمن يكون عزاؤها وسلوتها ثم إنك لا تستطيع وأنت الرجل العاقل الذي لا تربطك بآل الرسول رحم ولا قرابة لا تستطيع سماع تلك الرزية الكبرى ولا تملك شعورك عند مرور صورتها

في خيالك إنك لا تستطيع سماع مصيبة كربلاء وقد مرّ عليها ١٣٠٠ سنة فماذا يكون حال زينب وهي بمشهد ومرأى من كل ما وقع من ذبح أخيها الحسين والعباس قمر بني هاشم وأولاد أخيها علي الأكبر والقاسم وأبناء عمها عقيل وأولادها محمد وعون وعبد الله أولاد ابن عمها عبد الله بن جعفر وأنصارها مجزرين كالأضاحي تصهرهم الشمس بحرها شاهدت ذلك كله ورأت المثلة والتشنيع وما أصاب النساء والأطفال من العطش والسبي والسلب والحرق وكانت تساق كالإماء والعبيد ومعها رأس عمادها على رأس الرمح إلى غير ذلك من المصائب والآلام.

أليس عجيباً أن تبقى سيدة الطف في قيد الحياة بعد ذلك كله جامعة لحواسها مالكة لشعورها محافظة على العيال عاملة بوصية أخيها قائمة بكلا الجهتين أحسن قيام وأنّ النساء لتبلغهن الرقة وتملكهن العاطفة وإذا قرأت وقعة كربلاء ومر بك أن سيدة الطف باغتت أخاها ليلة مقتله وهو يصقل سيفه ويقول:

يا دهر أف لك من خليل
كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب وطالب قتيل
والأمر في ذاك إلى الجليل

فصرخت نادبة أخاها ثم خرجت مغشية عليها غائبة عن نفسها ولم تفق حتى رش الحسين عليه السلام من مدامعه على وجهها إذا قرأت هذا ثم رأيت صبرها وتجلدها عند مشاهدة أخيها قتيلاً يعبث ابن زياد ويزيد برأس أخيها إلى غير ذلك من الأحزان والخطوب لعجبت من تلك الرقة والعاطفة وذاك الصبر والتجلد وكيف اجتمعا في قلب واحد.

ما الذي بدل ذلك القلب الرقيق إلى أصلب من الصخرة الصماء علامة؟ إنّ في البين سراً مكنوناً لا تستطيع النفوس تحمله إلا إذا كانت ممن اختارها الله لأمانته وجعلها موضع رسالته وأمراً عظيماً لا يقوى على القيام به إلا نبي أو وصي نبي إن أهل الدين الذين أشبعت قلوبهم بالإيمان وملئت علماً وقينا يخضعون لأمر الله وقضائه ولو كان به ذهاب أنفسهم النادرة وحدها لسيدة الطف من الفضل والسمو ما لا يقدر بمقدار فمن هذا وأمثاله تستطيع العلم والحكم أنّه لولا زينب لضاعت أطفال الرسول كما قتلت رجاله ولم يبقَ من الذرية النبوية باقية.

أما الجهة الثانية ومشاطرة أخيها في الجهاد وإبلاغ الحجة وتكذيب الدعايات الأموية فيتجلى ذلك كله في خطبها على أهل الكوفة والشام ومخاطبتها لابن زياد ويزيد.

قال خزيمة الأسدي: رأيت زينب وأهل الكوفة مجتمعون حولها ومعها بقية السبايا فأومأت إلى الناس بالسكوت فارتدت الأنفاس وسكنت الأجراس وتكلمت بكلام لم أر والله أنطق منها كأنما تنطق وتفرغ عن لسان أمير المؤمنين ثم ذكر خطبتها البليغة وقد جاء فيها «قتل سليل خاتم النبوة ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وملاذ حربكم ومعاذ حزبكم ومقر سلمكم ومفزع نازلكم والمرجع إليه عند مقاتلكم ومدرة حججكم ومنار حجتكم... ويلكم أي كبد لمحمد فريتم وأي عهد نكثتم وأي كريمة له أبرزتم وأي حرمة له هتكتم وأي دم له سفكتم».

فأذكت هذه الكلمات بنفوسهم نار الحماس وهزت منهم الأفئدة وتكهربت الأعصاب وود الجميع لو كانوا لصاحب الرأس فدى ولعياله وقى وأنّ منهم من خفي عليه مكان السبايا ولم يدر من هو صاحب الرأس من تمويه الحقائق وتغطية الحق فأوضحت لهم أن الرأس الذي هو على الرمح رأس محمد صلى الله عليه وآله وسلم والدماء المسفوحة دماؤه والكريمات كريماته وأنهم بقتل الحسين قتلوا مجدهم وعزهم ومقر سلمهم فلا سلم بعد قتله ولا عز بعد هتك حرائره ولا ملاذ بعد سفك دمائه فرفعت نساء الكوفة بالعويل أصواتها ولطمت الرجال وجوهها وقال بعضهم لبعض هلكتم وما تعلمون واجتمعوا حول الإمام زين العابدين عليه السلام قائلين له مرنا بأمرك نحن حرب لحربك وسلم لسلمك مرنا لنأخذ بثأرنا وثارك ممن ظلمك وظلمنا من الآن أصبحوا يشعرون أنّ يزيد ظلمهم واغتصب حقهم ويتطلبون استرجاع حقهم منه بالسيف وعرفوا أن لا حرمة للأمة والإسلام بعد قتل ملاذ المسلمين وسيد شباب أهل الجنة أدركوا ذلك وشعروا به وكانوا من قبله في غفلة وسبات إن هذه البذرة هي التي يبغيها الحسين عليه السلام من جهاده وينشدها من نهضته ولابد أن تنمو وتثمر وتمحي دولة الضلال وتذهب دولة الباطل.

ولما أدخلوا سيدة الطف على ابن زياد قال: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أحدوثتكم، فقالت: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم طهرنا من الرجس تطهيراً إنما يفتضح الفاسق ويكذب الفاجر وهو غيرنا، زعم ابن مرجانة أن باستطاعته إخفاء الحقيقة وإفهام الحاضرين بأنّ القتل فضيحة لأهل البيت وتكذيبٌ لأحدوثتهم ومن يقدر على رده وهو صاحب البأس والسلطان».

ففضحتـه بنت أمير المؤمنـين عليهما السـلام غير مكترثة بمـا حوله من الجنـد ولا مباليـة بقوتـه مبرهنة أنهـا وأهلها بعيـدون عـن الكـذب والفضيحة مـبرؤن من كل عيب ودنـس لأن الله أكرمهـم وشـرفهم بمحمد صلى الله عليه وآله وسـلم وطهرهـم الرحمـن من الرجـس وإنما الفضيحة لمـن يتعاطى الزنا والفجور ويشـرب الخمر ويرتكب الفسق والجور وهو ابن زنا وأمه وأبوه ولما وصلت السـبايا إلى الشـام والشام عاصمة يزيد ومقر سـلطانه والعاصمة يـروج فيها كذب الحاكم ويكثر فيهـا أنصـار الظالمـين فزينـت أسـواق الشـام وخـرج أهلها بالطبول والاعلام يتلون أناشـيد النصر والظفر ظناً منهم أن الحسـين عليه السـلام خارجي خرج لإخلال النظام وثار على الأمن لسـلب الأموال وسـفك الدماء رأت زينـب ذلك كله ولم يخف عليها شيء منه فتجدد في نفسـها الحـزن وتراكمت علـى قلبها المصائـب بعضها فـوق بعض وزاد الألم لـما دخلـت علـى يزيـد ونظرتـه يعبث بالرأس الشريف ويلعب بـه كمـا تلعـب الأولاد بالكرة مظهراً حقده هاتفاً بأشياخه فلم تطـق السـكوت وخطبت في مجلـس يزيـد خطبـة آية في البلاغـة ومعجـزة في الفصاحـة فمـن كلامهـا: «أظننـت يا يزيد حيث أخذت علينـا أقطـار الأرض وآفاق السـماء فأصبحنا نساق كما تسـاق الإمـاء أنّ بنـا هوانـاً علـى الله وبك عليـه كرامة، أمـن العدل يـا ابـن الطلقاء تخديـرك حرائـرك وإماءك وسـوقك بنات رسـول الله سـبايا، فو الله ما فريـت إلا جلدك ولا حـززت إلا لحمـك ولتردن على رسـول الله بما تحملت من سـفك دماء ذريتـه، ولئن جرت علي الدواهـي مخاطبتك إني لاسـتصغر قدرك واسـتعظم تقريعك واسـتكبر توبيخك لكن العيـون عبرى والصدور حرى فالعجـب كل العجب لقتل حزب الله النجبـاء بحزب الشـيطان الطلقاء، ولئـن اتخذتنا مغنما لتجدننـا وشـيكا مغرما لا تجـد إلا ما قدمت يـداك وما ربك بظلام للعبيد فإلى الله المشـتكى وعليه المعول فكد كيدك واسع سـعيك وناصب جهدك فو الله لا تمحـو ذكرنا ولا تميت وحينا ولا تـدرك أمدنـا ولا ترحض عنـك عارها».



ظـن يزيـد الجهل والغـرور عندما رأى رأس الحسـين بين يديـه أن النصر قد وافـاه وأنه محى ذكر النبـي وأمات وحيه وأخـذ بثـارات بـدر وأحـد وأن الملـك صفـا لـه وأنّـه لم يبق لسـلطانه منازع ولا لضلاله معارض وخفي عليه سـوء العاقبة ومغبـة المنقلـب فأفهمتـه بنـت أمـير المؤمنـين عليه السـلام بخسـران صفقته وذهاب دولته وأن قتل الحسين عليه السلام ليـس انتصارا ليزيد بل هو دمار وعـار ولعنة إلى الأبد وأنّ ما هو به من المناعة والقوة لا يرفع من شـأنه ومهما بلغ سـلطانه فهـو طليـق ابن طليـق وأنّ مـا أصابهم مـن القتل والأسـر لا يخفض من شأنهم ومكانتهم العليا ويحط من قدرهم السامي فإنهـم أهل بيت النبوة ومعدن الرسـالة وإنها تسـتصغر قدره وتترفع عن توبيخـه وأنّه كثر جنـده وقويـت شـوكته وإنـه دون أهـل البيـت وإن عوملوا معاملـة العبيـد والإمـاء وأنّ قتـل الحسـين عليه السـلام ورجاله ليـس إطفاء لنور الله وإماتة لسـنة رسـوله وطمسا لنواميـس الإسلام إلى إحياء الديـن والشـريعة وقتـلا للظلـم والضـلال وقد تحقق كل ماقالتـه سـيدة الطـف وصـدق كلامهـا فنعـى على يزيـد عمله بعـض من حضر واضربـت الشـام احتجاجـا على ما ارتكبـه يزيد وأنّه قد أسـاء إلى الأمـة والدين بعد أن أفهمتها الحقيقة كلامات زينب والإمام زيـن العابدين عليهمـا السـلام حتى اضطـر يزيد أن يتبرأ من دم الحسـين عليه السـلام وينسبه إلى ابن زياد ولكن سبق المقدر وجاء أمر الله وانمحت دولة الضلال وسـقط سلطان الجور وقتل المختار والسـفاح أنصـار الظلم وعشـرات الألوف من رجال الفسـاد وتحققـت أماني الحسـين عليه السـلام وربحـت تجارته ونال عز الدنيـا والآخرة وباء عدوه بغضب من الله وخسـران مبين فزينـب قـد شـاطرت أخاها الحسـين عليه السـلام الفضيلة والجهـاد وتحملـت الخطـوب وكابـدت الآلام وبارته بانتشـار الدعـوة ومحاربـة الظلـم بالخطابـة واللسـان كمـا نهض هو بالسـيف والسنان.



في ظــلال القــرآن الكريــم والإمـام الحسـين عليـه السـلام

للانبيــاء اهداف عظيمة لنشــر الدعوة الالهيــة بين صفوف الشعوب، وهي تدور على هدم القيم الشيطانية وبناء مثل ربانية قائمة على اساس التوحيد، وإنّ هذا الأمريستلزم الاصلاح في المجتمع، وقلع الجذور الالحادية من الافكار والاعمال، ثم نشر الافكار التوحيدية عنـد الجمهور، ومـن اجل ان تسـتمر هذه المسـيرة الاصلاحية لابد من احيـاء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكـر، لقد جاءت هـذه التغييرات للامم السـالفة كما يقصه القـرآن الكـريم عن حياة الانبيـاء عليهم السـلام، منهم هود وصالـح ونوح وابراهيم وموسـى وعيسـى و... عليهم السـلام ومنهم محمد صلى الله عليه وآله وسـلم.

فقد ذكر المؤرخون أنّه لما أراد الامام الحسـين عليه السـلام أنْ يـتوجه نحـو الكوفة ألقى خطبـةً جاء فيهـا: «إنّي لم أخرج أشـرا ولا بطـرا، ولا مفسـدا ولا ظالمـا، وإنّمـا خرجـتُ لطلب الاصلاح في امة جدّي، اُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، واسير بسيرة جدّي وأبي علي بن ابي طالب، فمن قبلني بقبول الحـقّ فـالله أولى بالحقّ، ومن ردّ علي هـذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القـوم الظالمين وهو خير الحاكمين».

فمـن سـنن الانبياء عليهم السـلام كمـا يصرّح بـه القرآن الكريم الاصــلاح العـقائدي، والاصلاح الاجتماعـي والثقافي والاخلاقي و...، لأنّ المفاسـد الشـيطانية كثيرة ومتشـعبة.

ومـن أهم هـذه الاصلاحات، الاصلاح العقائـدي الذي ذكره القـرآن العظيـم إنْ اريد الا الاصلاح ما اسـتطعت، فما من نبي الا وقـام بهـذه الاصلاحـات في مجتمعـه، وإنّ الله العظيـم لا يضيع أجر المصلحين، فالامام الحسين عليه السلام قام بنهضة اصلاحية للمجتمع الاسلامي طالبا بذلك رضى الله رب العالمين.

ومـن أجـل أن يبقى نور الاصـلاح مضيئاً ومسـتمراً، فلا بدّ للانبياء عليهم السـلام من القيام بالامر بالمعروف والنهي عن المـنكر، وتـأتي هـذه المرحلة الثانية من بعد عملية الاصلاح العقائدي، كما قـال ربّ العزة واصفاً رسوله الكريم صلى الله عليـه وآلـه وسـلم: ﴿ الَّذينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَ الأُمّي الَّذي يجدُونَهُ مَكتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوراةِ والاْنْجيلِ يأمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾.

والامـر بالمعـروف والنهـي عن المنكـر من أعظـم الاهداف القرآنيـة حـيث يصـرّح قائـلا: ﴿ ولْتَكـنْ مِنْكـمْ اُمَّةٌ يدْعُونَ إلى الْخَيروَيأمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكـرِ واُولئـك هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾.

فالامـام الحسـين عليه السـلام مـا هـو إلاّ امـة كمـا كان ابراهيـم عليـه السـلام امة حيث يقـول الله سـبحانه ﴿ إنَّ إبْراهِيمَ كانَ اُمَّةً قانِتًا لله ﴾.

فالحسين عليه السـلام امة في الخير وفي الأمر بالمعروف وممّا تمتاز به الامة الاسلامية على سائر الامم أنّها كانت وتكون خير امة اخرجت للناس لأنّهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر.

فبناءً على ما تقدم، فإنّنا نرى الامام الشهيد عليه السلام قام بعمل عظيم كما كان يقوم به الانبيا عليهم السلام من أولي العزم، من تطهير الارض من المفاسد والاعمال الخبيثة التي ارتكبها الامويون وعمّالهم في حق الامة الاسلامية.

موقف هود عليه السلام من الإصلاح

قلنا قبل قليل انّ عملية الاصلاح ما يقوم بها إلاّ نبي او وصي نبي، وهذا القرآن الكريم ينقل لنا صوراً من مواقف النبي المصلح هود عليه السلام اتجاه الامة، ويعرض المواقف العدائية من قبل امته له، وما كان اصلاح هود الا أنْ ينشر بذور التقوى في صفوف الامة، كما يقول ربّ العالمين: ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ، إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ، فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ﴾.

ثم يحذّرهم من عذاب يوم القيامة قائلا لهم: ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾.

وهذا يعني أنّه عليه السلام ركز على أصول العقائد الاصلية من التوحيد والنبوة والمعاد، ولكن القوم اتخذوا طريق الغرور مسلكا في حياتهم، واعتمدوا على القوى المادية الزائله، غير مبالين بالعذاب الاليم من قبل الجبار العظيم، حيث يصور القرآن الكريم حالتهم المادية قائلاً أتبنون بكل ريع المكان المرتفع آية تعبثون، وتتخذون مصانع (قلاع) لعلكم تخلدون، واذا بطشتم بطشتم جبارين،...فاتقوا الذي امدّكم بما تعلمون امدكم بانعام (اموال) وبنين (اولاد) وجنات وعيون (انواع النعيم)....

ثم إنّ الله يصوّر جانبا من غرورهم قائلاً: ﴿ قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ (ماتت قلوبهم كبرا) إِنْ هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴾.

فهم اصحاب الاموال والثروات الطائله والاولاد والقوة، والتطوّر الصناعي والتقدم العلمي وغير ذلك.

فالملاحظ أنّ النبي هود عليه السلام دخل من باب الاصلاح عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ،و لكنهم أعرضوا عنه فانتقم الله العزيز منهم بالصاعقة فلم تنفعهم الماديات ولا التقدم العلمي ولا...ولا... .

اذن فالامام الحسين عليه السلام يخشى على امة جده أنْ تصيبها ما اصابت الامم الماضية، وأنّ يحلّ عليها ما حلّ على قوم هود عليه السلام، فقام بنهضته العظيمة ضد الطغاة والجبابرة من آل بني امية.

موقف النبي صالح عليه السلام من الإصلاح التوحيدي

قامت دعوة النبي صالح عليه السلام على اساس التوحيد كما يقول القرآن المجيد ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾.

نجد في كلام الله تعالى شيئا من العاطفة والمحبة والرحمة لما عبّر عن النبي صالح بأنّه اخٌ لهم، فسوف يعطف ويترحم عليهم ويعاملهم بالرأفة والحنان وغير ذلك.

ثم يعرّج إلى ذكر التوحيد ونبذ الشرك، ولكن الاشرار أبو إلا السير في طريق الشرك والضلال قائلين له ﴿ يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ ﴾.

بل أجابوا كما قالت الامم السالفة لأنبيائهم، بأنّنا سائرون على خطوات الضلالة للآباء والاجداد، ولا نفكر في أمر التوحيد، فالرفض القاطع للدعوة التوحيدية، والشك في



أمـر النبوة، جعلهم أنْ يطغوا بالظلم وبالكفر أكثر فاكثر، حتى أنهم نشروا الفساد في الارض، وعتوا عن امر ربهم، واستكبروا اسـتكبارا، فخططت عصابة منهم لقتـل النبي صلى الله عليه وآله وسلم كـما تشير الآية الشريفة ﴿ قالُوا تَقاسَمُوا «حلفوا» بِاللّـهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ (نقتل صالحـا ليلاً) و(مـع) أَهْلَهُ ثُـمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّـهِ (ولي دمه) ما شَـهِدْنا مَهْلِكَ أَهْلِـهِ وَإِنّا لَصادِقُونَ ﴾ .

الموقف الاصلاحي للامــام الحسين عليه السلام من بني امية

هنــاك مخطط اموي معدّ من قبل لضرب الاســلام واقتلاع جذوره من على الارض ولدنيا ادلة كـافية وشـواهد كثيرة على ذلك منها:

١. قول الامام الحسـين عليه السـلام: «إنّي لم اخرج أشـرا ولا بـطرا و... وإنّما خرجت لطلب الاصلاح في أمة جدي...».

فابتغـاء الاصـلاح للمجتمـع الاسـلامي الـذي لم يطـل فراقهُ طويلاً عن الرسـول صلى الله عليه وآله وسـلم إلاّ أياماً معدودة ليـدل عـلى أنَّ الفساد قد طغى على المجتمع واصيب بمرض مسرٍ يخشى عليه الدمار والانهيار مــن قـبل الظالمين المفسـدين من الامويين.

ويظهر مـن الكلام في المقدمة للحسـين عليه السـلام، بأنّه يريد السـير على خـطى الرسـول صلـى الله عليه وآله وسـلم وابيــه علي بن ابـي طالب عليه السـلام لأنّ الامور انقلبت على عقبيها، فأصبح الشرّ خيرا، والباطل حـقا والظلم عدلاً و.... فلو أنّ الامة سـارت على هذا المنهـاج ولم يثر ثائر ضد الطغاة كما صنع الامام الحسين عليه السلام لما بقي اليوم من الاسلام أثرٌ، ومن القرآن حكمٌ ومن السنة النبوية علمٌ. ومن الشـواهد عـلى هذه الفضائح قول الكميـت رحمه الله تعالى، الذي يقول:

> وعطلت الأحكام حتى كأنّنا على
> ملـة غـيـر الـتـي نـتـنحـل
> كلام النبيـين الهـداة كلامنـا
> وأفعـال أهـل الجاهليـة نفعـل

ويستمر قائلاً:

> فيا ساسة هاتوا لنا من حديثكم
> ففيكم لعـمري ذو أفانين مقول
> أأهـل كتـاب نحـن فيـه وأنتم
> على الحق نقضي بالكتاب ونعدل
> فكيـف ومن أنّـى واذ نحن خلفه
> فريقـان شـتّى تسـمنون ونهزل

ونختم كلامنا بقوله رحمة الله عليه:

> فيا رب هل إلاّ بك النصر يرتجى
> عـليهم وهـل إلاّ عليك المعوّل

٢. قـول الامام زيـن العابدين عليه السـلام للشـامي الذي قـال له: الحمـد لله الـذي اراح البلاد والامير مـن طاغيتكم، فقال لـه الامام عليه السـلام: «يا شـيخ هل قـرأت القرآن؟»، قال: نعم، فقال عليه السلام: «هل قرأت هذه الآية ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبى ﴾؟» قـال: نعـم، فقـال الامام عليـه السـلام: «نحن القربى يا شـيخ».

ثـم التفـت اليـه سـائلاً: «هل قـرأت هـذه الآيـة: ﴿ قُلْ لا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْراً إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبى ﴾؟»، قال: نعم، فقال الامام عليه السلام: «نـحن ذووا القربى يا شيخ»، فتعجب من كلامه قائلاً: انتم هم، فقال الامام عليه السلام: «نعم، نحن هـم»، فلما عـرف ذلك الشـيخ الحقيقة تاب إلى ربـه متابا.

ويـظهر لنا من هذا الحوار أنّ هناك عنصراً آخر للمخطط الاموي لضــرب الدين ألا هو التضليل الاعلامي للامة، فانظر كيف نجحـت الحكومة الاموية في هـذا التضليل وكيف تمكنت من تشويه سمعت آل البـيت عليهم السلام، الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا، وأنّها كيف اشاعت بين النـاس أراجيـف بأنّ هؤلاء القوم هم من الخوارج، افشـل الله قيامهم وأمكن منهم يزيد الظالم، فانظر كيف أن الاعلام المضّل يجعل الظالم منصورا والمظلوم مقهورا.

٣. قـول الحوراء زينب عليه السـلام ليزيـد الطاغية: «فكد كـيدك واسع سعيك، فو الله لا تمحوا ذكرنا...».

يبـدو أنّ هـذا الـكلام واضحةٌ معالمـه ويشـير إلى المخطط المعدّ من قبل الامويين لضرب الدين الحنيف والرسول الكريم صلـى الله عليـه وآله وسـلم بل تناسـوا أنّ كيدهـم في تضليل، وأنّ النصر من الله العزيز العليم، وان كلمة الله هـي العليا وان



كلمة الظالمين هي السفلى.

٤. قول ابي سفيان: قيل إنّ الامويين اجتمعوا ذات مرّة في خلافة عثمان بن عفان، وكان فيهم ابو سفيان الذي فقد بصره اواخر عمره، فسأل الحاضرين هل يوجد بينكم غير اموي؟ قيل له: لا.

فقال كلمته المشهور كفرا مخاطبا بها الامويين قائلاً: تلاقفوها (الخلافة) تلاقف الكرة، فو الذي يؤمن به ابو سفيان لا جنّة ولا نار، فالذي ينكر القيامة، ليس من الاسلام في شيء.

وهذا تصريح قاطع بالكفر لا يشك بذلك احد من الناس، اذن فالمخطط الاموي المعدّ ما هو إلاّ لضرب التوحيد واقرار بالكفر والطاغوت.

٥. قول يزيد: لقد أنكر يزيد (لعنه الله) النبوة والتوحيد مرة واحدة، كما جاء في قوله:

> لعبت هاشم بالملك فلا
> خبر جاء ولا وحي نزل
> لست من خندف إنْ لم أنتقم
> من بني أحمد ما كان فعل

بكل وقاحة يعتقد يزيد أنّ الهاشمين ما هم إلاّ ملوك كبقية ملوك الدنيا حكموا الارض، فلا وحي نازل من ربّ العالمين، ولا خبر جاء من السماء إلى اهل الارض. إنّ هذا الكلام يدل على اعتراف صريح بالكفر وإعراض عن الدين والقيامة.

وله كلام أكثر وضوحا بالكفر مما سبق لما تمثل بقول ابن الزبعري قائلاً:

> ليت اشياخي ببدر شهدوا
> جزع الخزرج من وقع الاسل
> لأهلّوا واستهلوا فرحا
> ثم قالوا يا يزيد لا تشل

أشياخه الذين يفتخر بهم هم رؤساء الكفر (الوليد وشيبة وعتبة) الذين جاءوا لمحاربة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في اول معركة اسلامية، فهو يتمنى أنّ هؤلاء الكفار الذين قتلوا يوم بدر لو أنّهم كانوا حاضرين اليوم الذي قتل فيه الامام الحسين عليه السلام حفيد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأنّه كيف انتقم من الهاشمين وخاصة من واقعة بدر، الا كفران وطغيان أوضح من هذا الكلام.

اذن فالمخطط المرسوم ما هو الا القضاء على الدين وعلى الذين يحامون عنه.

٦. موقف المؤرخين من جرائم الأمويين:

كان الحزب الاموي الحاكم يبذل قصارى جهده لنشر فضائل الامويين وولاتهم، ويسعى لشراء ضمائر الكتّاب والمؤرخين كي تبقى لهم صفحة في التاريخ، ولكن الله تعالى كتب لأغلبنّ أنا ورسلي، فإنّني تصفحت كتبا عديدة للذين بذلوا مهجهم للأمويين، فوجدت أنّ هناك يدًا غيبة تفضح الأمويين بايدي مواليهم، وهي كثيرة لا تعدّ ولا تحصى، واحيانا يتساقط الانسان عرقا خجلاً مما فعله هؤلاء الظالمون، وإنّ القلم واللسان قاصران عن البيان خوف اشاعة الفسق والفجور والفحشاء.

وفيما يلي نذكر بعض الامثلة:

أ: قال السيوطي في تاريخه: قتل الحجاج من الصحابة ما لا يحصى عددا، وقيل أنّه قتل ايام حكومته في الكوفة ١٢٠/٠٠٠ الف شخص.

ب: قال عبد الله بن حنظلة: والله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء! إنّه رجل ينكح امهات الاولاد والبنات والاخوات، ويشرب الخمر ويدع الصلاة (نقلاً عن تاريخ الخلفاء).

ج: عبّأ عبيد الله بن زياد الجماهير في الكوفة لقتل الحسين عليه السلام، وذات مرة وجد رجلاً في بعض الشوارع فألقى عليه القبض، لأنه لم يشترك في التعبئة: وجيء به إلى عبيد الله: فقال له: انا من اهل الشام، جئت لآخذ ديني ولم ادر بالتعبئة.

قال عبيد الله: لقد صدقت، ولكن اضربوا عنقه واجعلوا رأسه فوق باب القصر عبرة للآخرين.







إنّ الاسم الحقيقي للسيّدة سكينة هو آمنة بنت الحسين، وإنّما سكينة لقب لقبّته به أمّها الرباب، وذلك لسكينتها وهدوء في طبعها غلب عليها، حتى كانت (السكينة) صفة لها وهذا أثبته أرباب السير والتأريخ على اختلاف في اسمها بين آمنة وأميمة، واتفقوا على أنّ (سكينة) لقب وصفة لها اشتهرت بها.

١ ـ ابن عساكر في (تاريخ مدينة دمشق)

قال: (أخبرنا الحسين بن الفراء وأبو غالب وأبو عبد الله ابنا البنّاء قالوا: أنا أبو جعفر، أنا أبو طاهر، أنا أحمد بن سليمان، أنا الزبير (ابن أخ مصعب بن الزبير) قال في تسمية ولد الحسين: وسكينة، واسمها آمنة، وإنّما سكينة لقب لقّبتها أمّها الرباب بنت امرئ القيس.

وتزوّج سكينة ابنة الحسين عبد الله بن حسن بن علي، أمّه بنت الشّليل ابن عبد الله البجلي... فقُتل مع عمّه الحسين بالطفّ قبل أن يبني بها..). (تاريخ دمشق: تراجم النساء، ١٥٦)

٢ ـ ابن النديم في (الفهرست)

كما نقله عن محمّد بن السائب الكلبي النسّابة، (قال محمّد بن السائب الكلبي: سألني عبد الله بن حسن (بن حسن) عن اسم سكينة بنت الحسين عليه السلام فقلت: أميمة، فقال: أصبت).

فلا نستبعد التصحيف في أميمة هنا، وكونه في الأصل آمنة، وذلك لما سيأتي بعد هذا من سؤال رجل لعبد الله بن الحسن بن الحسن عن اسم سكينة، وتخطئة عبد الله لابن الكلبي الذي كان يقول بأميمة، كما في الشق الثاني من الرواية، إذ كيف يصوّب له أميمة هنا، ولا يقبل منه أميمة هناك على قول نقل السائل؟

على أننا لا نستبعد أيضاً التصحيف في صدر الرواية بقوله: أمينة والأظهر في الأصل آمنة، واستظهارنا هذا تؤيده ما أورده صاحب الأعيان عن الأغاني من رواية ابن الكلبي، عن أبيه، وهي صريحة واضحة في هذا المعنى.

وقال ابن النديم في ترجمة محمّد بن السائب الكلبي: من علماء الكوفة بالتفسير والأخبار وأيّام الناس، ويتقدم الناس بالعلم بالأنساب). (الفهرست:١٠٧)

٣ ـ أبو الفرج الإصفهاني في (الأغاني)

قال: اسم سكينة أميمة، وقيل: أمينة، وقيل: آمنة، وسكينة لقب لقّبت به.

وقال أيضاً: ورُوي أنّ رجلاً سأل عبد الله بن الحسن (بن الحسن) عن اسم سكينة، فقال: أمينة.

فقال له: إنّ ابن الكلبي يقول: أميمة. فقال: سل ابن الكلبي

عن أمّه، وسلني عن أمّي.

ونقل عـن المدائني قولـه: حدّثني أبـو إسـحاق المالكي قال: سـكينة لقب، واسـمها: آمنة. ثم أردف الإصفهاني قوله: وهذا هـو الصحيح. (الأغاني:١٦/ ١٤٦)

وقال في مقاتل الطالبيين: واسم سكينة أمينة، وقيل: أميمة، وإنّما غلب عليها سكينة وليس اسمها. (مقاتل الطالبيين:٩٤)

٤ ـ السيّد محسن الأمين العاملي في (أعيان الشيعة)

عنونهـا هكـذا: أميمة بنت الحسـين بن علي بـن أبي طالب المعروفة بسكينة.

ثـمّ نقـل بعض الأقـوال المتقدمـة وقـال: روي في الأغـاني بسـنده، عن ابـن الكلبي، عـن أبيه، قال: قـال لي عبد الله بن الحسن [بن الحسـن]: ما اسم سكينة بنت الحسين؟ فقلت له: سـكينة، فقال: لا، اسـمها آمنة). (أعيان الشـيعة:٣ / ٤٩١)

والظاهر تعـدد الحادثتين، أحدها هذه، ولعلّها هي الأسـبق زمانـاً، والأخرى ما أوردنـاه عن ابن النديم مـن أنّ محمّد بن السائب الكلبي كان قد سأله عبد الله بن الحسن هذا عن اسم سكينة، فقال: هي أميمة.

واسـتظهرنا بتعـدّد الحادثتين، كون روايـة الأغاني هنا في صـدد تصحيح ما علق بذهـن محمّد بن الكلبي، وما اشـتهر من لقبها بين النـاس من أنها سكينة، فصحّح عبد الله اسمها بأنها آمنة.

وروايـة ابـن النـديم في الفهرسـت أن عبد الله بن الحسـن سـأل محمّد ابن الكلبي عن اسـم سـكينة، فلما ذكر أنّ اسمها آمنـة صوّب له ذلك وأقـرّه عليه حينما قـال: أصبت، وكأنّه في صدد تذكيره على ما صححه من قبل والتأكيد عليه بأنّ اسـمها آمنة وليس سكينة.

وتأكيـد عبـد الله بـن الحسـن علـى محمّـد بـن الكلبي له خصوصيته، فأنّ بن الكلبي كونه نسّـابة، وعبد الله بن الحسن حريص على تصحيح الاسـم بواسطة محمّد بن الكلبي لرجوع الناس إليه.

٥ ـ السيّد عبد الرزاق الموسوي المقرّم في (سكينة بنت الحسين عليهما السلام)

قـال: وأمّا سـكينة فقـد ذكـر المؤرّخـون أنّه لقب مـن أمّها الرباب، وكأنّه لسـكونها وهدوئها، وعليه فالمناسـب فتح السين المهملة وكسـر الكاف، وهذا الرأي نسـبه الصبّان إلى المشهور، وأمّا اسـمها، فالذي اختاره ابن تغري بردي أنّه آمنة. (سـكينة بنت الحسين: ١٤٠)

٦ ـ المحدّث الشيخ عباس القمّي في (منتهى الآمال)

قال: وكان اسـم سـكينة آمنـة أو أميمة، فلقّبتهـا أمّها رباب بسـكينة، فهي عقيلة قريـش، وذات عقل ورأي صائب. (منتهى الآمال: ١/ ٨١٨)

هـذا اتفاق أهل الأخبار والمحقّقين من الفريقين، أنّ سـكينة هو لقب آمنة أو أميمة بنت الحسين عليهما السلام.

علـى أنّا نرجّح ما رجّحه أهل التحقيق بأنّ اسـمها آمنة بنت الحسين وميلهم على ذلك.

بـل هـو الأقرب على مـا في رواية أبـي إسـحاق المالكي، كما نقلـه أبـو الفـرج الإصفهـاني في الأغاني عـن المدائنـي، قال: حدّثني أبو إسـحاق المالكي قال: سكينة لقب، واسمها آمنة، ثمّ تصحيح الإصفهاني عقيـب الرواية بقوله: وهذا هو الصحيح، وقد أشـرنا إليه آنفاً.

كـما أنّ أبا الفرج نقـل في موضع من الأغـاني: قال مصعب فيما أخبرني به الطوسـي، عن زبير، عنه: اسمها آمنة.

وهنـاك روايـة أخـرى للمدائني، عـن أبي إسـحاق المالكي، قال: قيل لسـكينة ـ واسـمها آمنة، وسكينة لقب ـ أختك فاطمة ناسـكة، وأنت تمزحين كثيراً؟... ثمّ جواب السيّدة آمنة بأنكم: «سميتموني باسـم جدّتي التي لم تدرك الإسلام».

تعني آمنة بنت وهب، أمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومـع مؤاخذاتنا على هـذه الرواية، إلاّ أنّ الـذي يعنينا منها الآن هو ترجيح اسـم آمنة على غيره من الأسماء.

وهـذا ما حدى بالسـيد محسـن الأمـين العاملـي في أعيان الشـيعة إلى القول بعد إيراده لهذه الروايـة في أخبارها: (هذا يدلّ على أنّ اسـمها آمنة).

رغم أنّه عنونها باسـم أميمة، ولعلّ اختياره كان مسـايرة لما عليه الأكثر ليس إلاّ.

مـن هنـا يتأكـد لنـا الاسـم الحقيقي للسـيدة سـكينة وهو آمنة، لذا فالأمانة العلمية تدعونا إلى إثبات اسـمها الصحيح، والتعامل معه تعامـلاً جدّياً، وذلك لغلق الطريق على الأكاذيب التـي عمـد إليهـا البعـض للإسـاءة إلى بيـت النبـيّ الأطهر، وتمحّـلات الآخرين الذين حسـبوها أنّها مرتكـزات تاريخية، دون أن يتكلّفـوا أدنـى مطالـب التحقيق في شـأن هذه الحادثة الخطـيرة، لذا فإنّنـا نأمل من ذوي التحقيـق وأهل الإنصاف، أن يرتكز في أذهانهم اسـم آمنة بنت الحسين عليهما السلام، والتعامـل معـه تعامـلاً حقيقيـاً، والإعراض عن لقبهـا الذي اسـتغلّه بعض أهل الأهواء، والسـذّج من بسطاء العوام، الذين لا خلاق لهم بتحقيق الوقائع، ومعرفة الأحداث، وما لهم بذلك إلاّ المطامـع، أو النعيـق مع كلّ ناعق.

خطأ فكري رافق تدوين أحداث الطف!!

رافقت مأساة الطف فكرة خاطئة، وقد ساير هذا الخطأ الفكري ادوار هذه المأساة ولم ينج من ذلك كثير من المؤرخين والكتاب حديثاً.

فمن الثابت أنّ العراقيين قد كتبوا إلى الإمام الحسين عليه السلام طالبين إليه القدوم عليهم، إذ لا يرون إماماً لهم غيره، وقد خرج الإمام من الحجاز إلى العراق ملبياً الدعوة. وكادت تنقطع أخباره في طريقه إلى الكوفة. ويروي التاريخ أنّه لم يلتق به أحد في الطريق إلا أفراد قلائل خافوا أن يعودوا إلى حواضرهم أو يذكروا شيئاً عن ملاقاتهم للإمام لئلا يتهموا من قبل أعدائه.

وفي الوقت الذي انقطعت فيه أخبار الإمام وهو في الطريق قام الولاة والعمال بدعاية واسعة النطاق في طول البلاد وعرضها مفادها: أن خارجياً خرج على الأمير، فمن هو هذا الخارجي؟ ومن أين؟

الحقيقة أن أكثر الناس لم يعرفوا حقيقة هذا الأمر واستقبلوه خالي الذهن في أن الذي دعوا إلى قتاله لم يكن إلا خارجياً كما أذيع فيهم، على أن أكثر الذين كتبوا إلى الحسين كسليمان بن صرد الخزاعي واضرابه قد حبسوا وشددت الرقابة عليهم ومنعوا من أي اتصال بالحسين.

ولم يكن وصول الأخبار بالأمر السهل ليعرف الناس ما يجري حولهم أو بعيداً عنهم.

وفي هذا الجو من الإرهاب الخانق وصل الإمام الحسين إلى كربلاء وتألب الأعداء على ما روج اليه الاعلام بأنّه (خارجي) ولم يطلع على

الحقيقة في بادئ الأمر إلا قلائل من أمراء الجيش أو من زعماء الكوفة ممن كانت أمراؤهم يزيدية.

وقد فطن الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه إلى ما أحيط بهم من دعاية مكذوبة أظهرتهم للناس مظهر الخوارج فحاولوا جميعهم أن يفندوا تلك الدعاية بخطبهم في القوم في أن الذي جاؤوا لمحاربته وقتله ليس إلا ابن بنت رسول الله وريحانته، وحتى الحسين نفسه وقف بين الصفين خطيباً قائلاً: «انسبوني من أنا».

وقد أحدث ذلك لغطاً شديداً في معسكر ابن سعد كاد ينقلب إلى فتنة لولا أن تداركها القادة بالسرعة في تنفيذ المؤامرة والهجوم على الحسين.

قتل الحسين، وسبي عياله على النحو المعروف، ولم يذع خبر قتله إلا كخارجي أيضاً الأمر الذي أدركته السيدة زينب في الكوفة فأخذت تصرخ وتعرف الناس بهؤلاء السبايا الهاشميات وما كاد الناس يعرفون ذلك حتى ضجت الكوفة بالبكاء والنحيب وكادت تحدث الفتنة مرة ثانية أيضاً لولا أن ابن زياد تداركها بصورة ما.

وحينما عرف الناس أن قتيلهم هو ابن بنت نبيهم وأنّه ليس خارجياً كما قيل لهم لم يستطيعوا صبراً على هذه المأساة والخديعة التي انطلت عليهم حيناً، فهبوا بزعامة المختار الثقفي وابراهيم النخعي وقادوا الجيوش منادين: يا لثارات الحسين.

هذا استطراد أو استعراض موجز للحوادث التي وقعت وما رافقها من خطأ فكري، ويتضح من ذلك أن العراقيين أو أهل الكوفة بالذات ليس كما وصفوا من الخيانة والغدر والنفاق بالشكل الذي صدره بعض المؤرخين والكتاب. وإنما انطلت عليهم دعاية مكذوبة لم يتبينوا حقيقتها إلا بعد فوات الأوان فحاولوا التكفير بدمائهم عما ارتكبوا من خطأ.

هذه ملاحظة عابرة أرجو أن يبحثها الكتاب ويوضحوا ما غمض من جوانبها التاريخية، مؤيدة بالوثائق والنصوص، وأملي أن أعود على هذا الموضوع مرة ثانية بالتفصيل، إذ لا يجوز أن يظل مثل هذا الخطأ الفكري عالقاً بالتاريخ في قضية كربلاء.



أخوة الربانيين والعباس بن علي أروع جوهرة في ساحة كربلاء

الشيخ محمد البغدادي

في الذكر الحكيم: أن النبي موسى سأل الله سبحانه أن يعضده بأخيه كي يتم له أمره في هداية قومه فقال عليه السلام: ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا (٣٤) إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا (٣٥) قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾. (طه/ ٢٩-٣٦)

وورد في الروايات المعتبرة أن نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم بعد ما ذكر في مناجاته للمولى سبحانه ما تقدم من أمر موسى عليه السلام وسؤاله الوزارة لأخيه واستعضاده به سأل الله سبحانه أن يعضده بأخيه علي

عليه الصلاة والسلام فأجابه. (فضائل الخمسة:١/٣٣٦)

وكان العباس بن علي بن أبي طالب عليه السلام وزير أخيه الحسين عليه السلام وعضده.

من يستقرأ سيرة مولانا أبي الفضل طيلة حياته عموما، وفي سيرته مع أخيه الحسين عليه السلام ابتداءً من المدينة وانتهاءً بمصرعه المقدّس، لا يجد فيها مغمزاً أبداً ولا وهناً ولا تراجعاً ولا تردداً، بل كله إقدام وثبات ووضوح رؤية وتصميم، فإذن هذه المرحلة في دراسة واستطلاع أعمال هذا الفرد الأوحد قد تجاوزناها ومجال بحثنا إنما هو في مكامن العظمة فيه وأعلى المثل الإنسانية في سيرته، ومن هذه النقطة عروجنا.

إن الإسلام العزيز قد وصل في عهد يزيد إلى مفترق طرق ومنعطف خطر جداً عندما يتقرر مصيره فإما موته الأبدي واندثاره كما آل إليه مصير الأديان السماوية قبله، وإما تجاوز هذا المنعطف إلى ما فيه بقاؤه في ساحة الوجود، وكان أبو الفضل العباس هنا...

مع أخيه الحسين...

وذلك المنعطف.

يستنقذ الإسلام ويعبر به إلى جادة السلامة، وبمعيتهما تلك الصفوة المؤمنة البرة.

بأبي من شروا لقاء حسينٍ
بفراق النفوس والأرواحِ
أدركوا بالحسين أكبر عيدٍ
فغدوا في منى الطفوف أضاحي

والعباس بن علي أروع جوهرة في ذلك الميدان... (إبصار العين:٥٨).

ميدان التسابق إلى التبرع بالأرواح.

للفوز بصحبة الحسين عليه السلام سيد الجنان.

أبو الفضل ـ ويكفيك بها كنية تعبّر عن صاحبها تعبيراً صادقاً كاشفاً عن جوهره ودخيلته وما يفيض عنه من سلوك حميد فهي ليست كبقية الأسماء والكنى المرتجلة ـ من بعض بني هاشم ممن حملوا خصيصة تميّزوا بها عن غيرهم ـ بما فيهم بقية الهاشميين ـ وخصيصتهم وميزتهم أن لا أحد يشير إليهم بمغمز في جانب ما، في طول رحلتهم الحياتية.

فحين تستقرأ سجل حياة أبي الفضل من أولها إلى آخرها لا تجد فيه غير ما يخضعك إجلالاً فما في حياته من شاردة أو واردة تخدش ذلك الكيان المقدّس.

وأحداث الطف مقطع من تلك الحياة الكريمة لا تجد فيها من أولها إلى آخرها لأبي الفضل موقفاً فيه وهن أو تراجع أو تردد أو استحياء في نصرة الحق أو في مواصلة المسير حتى وسم بالعصمة المكتسبة فهو في جوهره برزخ بين الإمام المعصوم وبين عظماء الأمة في خصائصهم وسلوكهم إذ ارتقى عن هذه إلاّ أنه لم يبلغ تلك.

كان العباس عليه السلام لأخيه الحسين عليه السلام كما كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

كان عماد حركته ونظام جيشه، كلما اشتدت بالحسين عليه السلام الخطوب، واحتاج لمن يسدّ ثغراً، أو يردّ كريهة، أو يفلّ مستعصياً، وجّه أبا الفضل لنجح حاجته فلا يرجع إلاّ بنجحها، أو لا يرجع، كما هو الحال في حركته الأخيرة التي لم يعد منها إلى مضارب الحسين.

لقد هدّ مصرعه الحسين عليه السلام، وهدّ كل من يتمسك بحبل الإسلام وعروته.

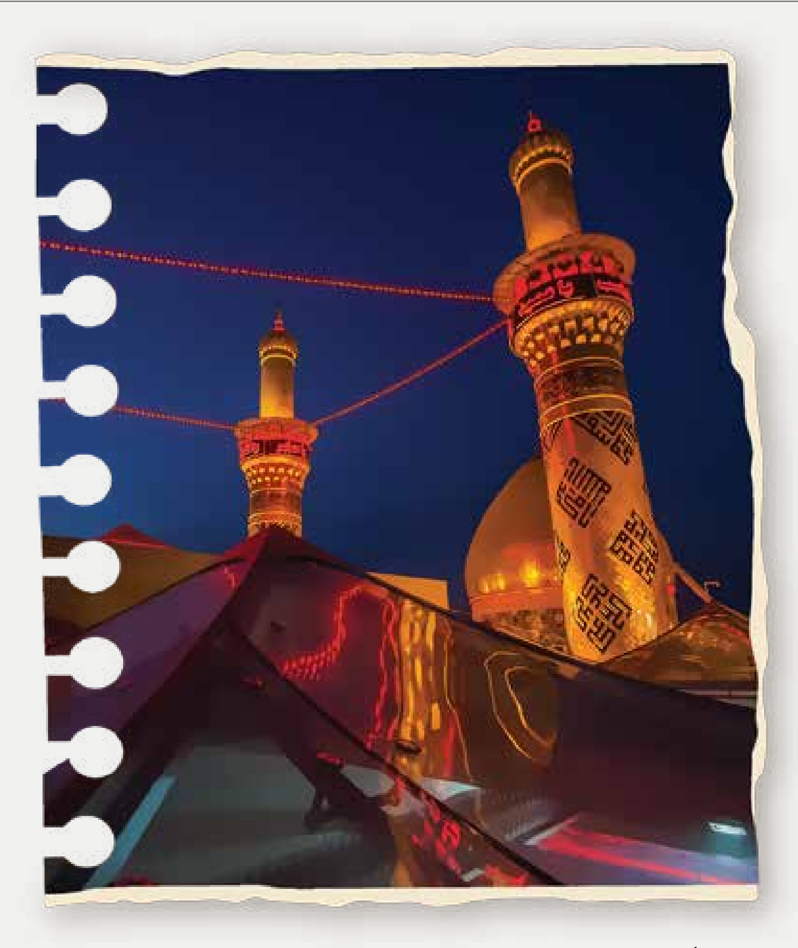
العباس ألم ممضّ في قلوب الأئمة المعصومين وجميع الهاشميين بل في قلب كل مؤمن ومؤمنة.

شُمِتَ بنا بعد أبي الفضل، فما ظنّ: برجل هذا موقعه في الساحة الإسلامية.

اللهم ارزقنا قبول أبي الفضل لنا واحشرنا تحت رايته فإنها منصورة عندك دنيا وأخرى ولا ريب.

والله: لو لم يقتل أولئك الأرجاس يوم الطف غير أبي الفضل لكفى بها بائقة وموجبة لكل عذاب وهوان.

فكيف وقد بلغت سيوفهم نحر الحسين خليفة الله في الأرض والقائم مقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.



وقد أخذت منه مأخذاً.

فما ترى الله سبحانه صانعاً بهم وإلى أين ستؤول بهم فعلتهم وكل ما جرى إلى اليوم إنما هي إرهاصات العذاب وليست به.

من أين نبدأ:

نحن لسنا بصدد الحديث عن جوانب معينة تحدّث عنها آخرون ولا يهمنا البحث فيها ولا التأكيد عليها للاكتفاء بما سجّله الآخرون، بل هناك أمور أخرى نهتم بجريان قلمنا لتسجيلها لما فيها من أثر وفائدة.

فأبو الفضل قام بعمل عظيم سبق به غيره في مستبق المكارم ونال به الحظوة عند المولى سبحانه وعند أوليائه ـ النبي وأهل بيته الكرام ـ يكشف عن هذا ما نطق به أهل العصمة عليهم السلام بشأنه وما وصفوه به وأصرى بمن ينبت في بيت النبوة والإمامة أن يفوز هذا المفاز، ويرقى هذا المرتقى فحيث تقلّب سمع كلمة هدى وإرشاد إلى مفاز في الدارين، فلم ينقلب عن عين الحياة ضمآناً بل ارتوى منها فربح الخلود بمعيّة سيد شباب أهل الجنة، فكيف نصف من هو في الجنان تلو أئمة الهدى ومن بيدهم في الدارين الأمر حلاً وعقداً وتكفي الإشارة عن التفصيل.

من أين نبدأ مع أبي الفضل؟

نعم الأفضل أن نبدأ من آخر المطاف.

من كربلاء

لكن لم؟

١ ــ لأن ما ورد عن أبي الفضل في النصوص الروائيّة، والتاريخية، وفي كتب المقاتل في هذا الجانب أوفر وأوضح.

٢ ــ وسرّ مهم: إن اختيارات الإنسان الأخيرة في ساحة حياته، وفي محتدم صراعه تكشف عن نوعية مسيرته خلال حياته كلها.

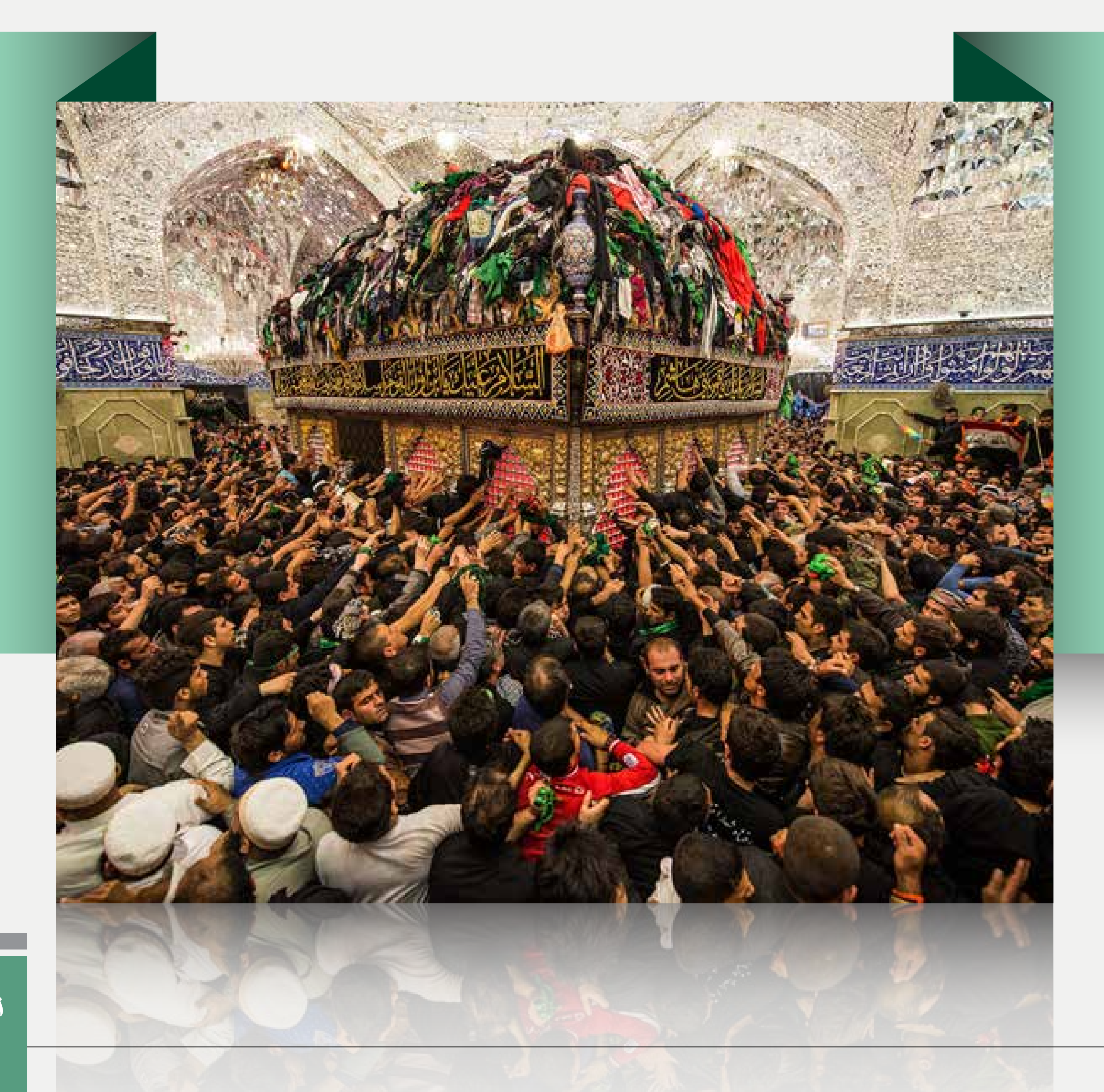
فقد ذكر علماء علم النفس والتربية الإسلامية ــ علم الأخلاق ــ (والواقع أن علم الأخلاق في الإسلام هو مجمع لأبحاث فصّلت في عصرنا هذا إلى علوم: النفس، الاجتماع، التربية، الأخلاق، ولم

يتم الإستفادة ــ بتمام الاستفادة ـ من علم الأخلاق في المؤسسات التعليمية كما ينبغي.

وهذا فيه بخس لأقدار تلك الذوات الكريمة التي سجّلت أبحاثه وبخس لحظ الأمة عن أن تستفيد من هذه الكنوز بل ابتلينا بتضمين هذه العلوم لما قدّمه كتبة الغرب وهم من هم في انحراف فكرهم ومعتقداتهم وسلوكهم واعتباطية مواقفهم وآرائهم).

أقول: قد ذكر علماء الأخلاق أن مسيرة الإنسان في حياته لها تأثير كبير على مواقفه في أخريات أيامه، فإذا اختار الاستقامة فهذا كاشف عن مسيرته الحياتية، وكاشف عن نواياه ونزعاته ومراميه في مسيرته فليس ارتجالاً أن ينتهي زهير بن القين إلى هذه النهاية السعيدة وهو العثماني في هواه، ولا أن يختار الحر ترك موقعه القيادي في جيش الدولة لينضمّ إلى جيش ليس له مصير في الدنيا إلاّ الموت المحتمّ بعد ساعات.

كل من ودّع صخب الحياة إلى الكوثر مع الحسين عليه السلام اختار سعادته بعد أن أخذ المولى سبحانه بأيديهم إلى ساحة الاختيار وهذا فيه كل الدلالة على سموّ ذواتهم ورفعة شأنهم وتميّزهم عن غيرهم إذ حيل بينهم وبين أن يكونوا في الآخرة من أهل الحسرات على ما سيلحق عامة أفراد الجنس البشري من حرمان من منازل الكرامة ومراتب الشرف ومن النعم الهائلة التي لم ير مثلها ولم يسمع بل لم تخطر على قلب بشر، وذلك لما فرّطوا فيه من عمل فخسروا تلك المقامات الشامخة يوم القيامة يوم المغانم ونيل المراحم بالمكيال الأوفى.





عمارة الروضة الحسينية في كربلاء

الروضة الحسينية

تتألف الروضة الحسينية من الصحن الشريف والبهو والرواقة والروضة الداخلية، وفي وسطها يقوم المرقد الشريف للإمام الحسين عليه السلام وتعلو القبة فوق الضريح وتحف بها مئذنتان مطليتان بالذهب، وقد تفننت اليد المعمارية في البناء والزخرفة وأصبح بحق آية من آيات الفن المعماري الإسلامي.

تاريخ الروضة الحسينية

إن الحديث عن تاريخ تشييد الروضة الحسينية الطاهرة على ما هي عليه الآن يعود إلى حديث جليل من تاريخ طويل يمتد إلى أربعة عشر قرناً بحسب إجماع المؤرخين فقد دفنت الأجساد الطاهرة في ١٣ محرم الحرام ٦١هـ، على يد قبيلة بني أسد ومعهم الإمام علي بن الحسين عليهما السلام حيث وضعت علامات لتبيان مرقد الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه وأبي الفضل العباس وتعتبر تلك العلامات أول بناء للروضة الحسينية المطهرة.

وتتالت الأحداث والتعمير للمرقد الحسيني فقد وضعت سقيفة فوق الضريح ما بين سنة ٦١هـ و٦٥هـ، حتى وُلي المختار بن أبي عبيد الثقفي على الكوفة وأجمع على الثأر للحسين عليه السلام من قتلته. فبنى مرقده الشريف سنة ٦٥ للهجرة وشيد له قبة من الآجر والجص وهو أول بناء فعلي للمرقد المطهر.

واستمر بناء الروضة الحسينية ما بين سنة ٦٥هـ و١٣٢هـ، حين سقوط دولة الأمويين وقيام دولة العباسيين يشهد تحسناً وتوسيعاً رغم الكثير من المضايقات والخوف من قبل الزوار، ولم تسجل أي تحسينات قوية لبقية المقامات الملحقة بالروضة الحسينية سوى إضافة سقيفة للتظليل.

بعد قيام دولة بني العباس عام١٣٢هـ حدثت جملة من الأحداث في المرقد الشريف وحوله... فقد بدأت حركة توجيهية لهدم المقام الشريف وما حوله من

المعالم لعدة أسباب، فتم تهديم المسجد في حرم الحسين عليه السلام وأخيه العباس عليه السلام وخربت دور وأبنية ومعالم أثرية، وقطعت شجرة السدرة التي كانت نبتت عند قبر الحسين عليه السلام وحيل ما بين زوار الحسين عليه السلام بقطع للطرق وسلب ونهب وكل ذلك حتى سنة ١٩٣هـ.

في عام ١٩٣هـ تسلم المأمون الخلافة العباسية فهادن محبي آل البيت عليهم السلام وعقد ولاية العهد للإمام علي الرضا عليه السلام وأمر ببناء قبر الحسين عليه السلام وفسح المجال للزوار بالتنقل وزيارات قبور أئمتهم عليهم السلام وكان البناء للمقام الشريف في عهد المأمون بناء شامخاً وبقي على هذه الحال حتى سنة ٢٣٢هـ حيث جاء دور المتوكل العباسي، الذي هدم قبر الحسين عليه السلام خلال فترة حكمه أربع مرات، حيث لم تقم عمارة لذلك المقام.

وأجرى ماء الفرات على الحضرة الطاهرة وزرع ما حوله بشجر لتغيير المعالم،، ومع ذلك فإن زوار الحسين عليه السلام لم ينقطعوا عن زيارة المرقد المقدس لشهيد كربلاء، ولو بالخفية وفي سواد الليل وأيام المطر والحر الشديد ومع المطاردة والملاحقة التي استمرت حتى رحيل المتوكل سنة ٢٤٧هـ.

تولى في العام ٢٤٧هـ سدّة الخلافة المنتصر الذي عمّر المقام، وحتى سنة ٢٧٣ كانت عمارة البناء للحضرة الحسينية موجودة وفي ٩ ذي الحجة من العام نفسه وفي أجواء زيارة عرفة التي يحتشد فيها الزوار عند الحضرة الشريفة، سقطت القبة المطهرة على جمع غفير من الزوار وبطريقة غامضة، وأصيب القبر بالانهدام وصار مكشوفاً وبقيت إعادة عمارته حتى عهد المعتضد العباسي سنة ٢٨٣هـ حيث انتهت العمارة سنة ٢٨٩هـ فشيد حينها محمد بن زيد بسبب علاقته الوطيدة بالمعتضد قبة عالية لها بابان ومن حوله سقيفتان وعمّر السور حول الحائر وأمام المساكن وأجزل العطاء على ساكني كربلاء ومجاري الروضة المقدسة.

انتقل عهد العباسيين إلى البويهيين فاهتموا بالتشييد للحضرة المقدسة





بهدف يريدونه، فزين الضريح بالساج والديباج وغلف بالخشب وجلبت القناديل والثريات المضاءة بالشمع لتنير الروضة المقدسة وبني الرواق والمسجد وكان ذلك ما بين سنة ٣٦٩-٤٠٧هـ.

في العام ٤٠٧هـ شب حريق كبير بسبب مفتعل على ما يبدو، والتهمت النار الستائر والسجاد وامتدت للقبة الطاهرة وحول الضريح الشريف بقي سالماً من الحريق وقسم من الحرم ورواق داخلي يدعى برواق إبراهيم المجاب.

وبقي ترتيب آثار الحريق مدّة من الوقت حتى سنة ٤١٢هـ حيث تولى الحسن بن المفضل بن سهلان تجديد العمارة للحائر الحسيني الشريف والسور وإزالة آثار الحريق الكبير كلياً، واستمر العمل بالتشييد الذي بدأه حتى خلافة المسترشد بالله العباسي سنة ٥٢٦هـ حيث عاد الإرهاب من جديد على زوار الحسين عليه السلام فأصدر قراره الأول: (أن القبر لا يحتاج إلى خزينة وأموال) فوضع يده على كل الأموال التي تنفق من الزوار في الحضرة الشريفة، لكنه لم يأمر بالهدم بل بالتضييق فقط.

في العام ٦٢٠هـ تولى مؤيد الدين محمد بن عبد الكريم الكندي الذي يعود نسبه إلى المقداد بن الأسود الكندي فأمر بترميم حرم الحسين وأصلح ما تهدم وأكسى الجدران والأروقة المحيطة بالحرم بالخشب الساج، ووضع صندوقاً على القبر من الخشب نفسه وزينه بالديباج والطنافس الحريرية. وأعمر مقام الحسين عليه السلام وباقي العتبات المقدسة في العراق، ووضع الكتابات وأسماء الأئمة الطاهرين وآيات وسوراً قرآنية كريمة.

وبقي ما بني في ذلك العهد ممتداً ومحافظاً عليه حتى كان حكم حفيد هولاكو ببغداد فقد تولى معز الدين أويس ابن حسن الجلائري من أحفاد هولاكو سلطنة بغداد عام ٧٥٧هـ، وأضاف عمارات عليها وأقام على الضريح المطهر قبة نصف دائرية تحيط بالأروقة ترتكز على أربع دعائم كبيرة عند زوايا الروضة الأربع، وأصبح الشكل البنائي للروضة الحسينية شكلاً هندسياً بديعاً يعطي فكرة حسنة عن التقدم الفني الزخرفي في البناء المعماري، وأكمل ابنه أحمد بن أويس عام ٧٨٦هـ البناء مضيفاً بعض الإضافات المعمارية المزخرفة. ورصّعه بأحجار من الرخام الناصع يخيل للناظر أنها مرايا وأن المآذن المذهبة من اللون القاشاني الصابوقي هي أشبه بلآلئ تلمع ليلاً ونهاراً.



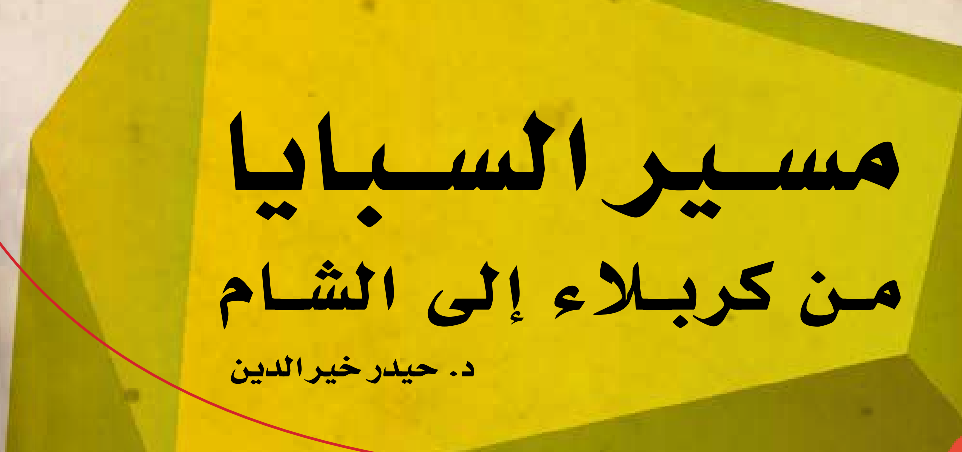


بقي ذلك البناء والعمارة المزخرفة لضريح الإمام الحسين عليه السلام حتى تعرضت كربلاء لهجوم (من قبل الوهابيين) عام ١٢٢٦هـ فهدم ما هدم ولم يعمر شيء وتخلخل ما تخلخل...

وجاء حكم العثمانيين وجددت عمارة المقام دون تحسينات تضاف وذلك عام ١٢٢٧هـ وفي عام ١٢٣٢هـ جدد السلطان فتح علي شاه بعض الزينة والإضافات للديوان والقبة.

والحق يقال فقد تتالت العمارات على الروضة الحسينية منذ ذلك العهد حيث كانت تشهد فتوراً لظروف معينة وشدّة في ظروف أخرى حتى سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، حيث وبأمر من الدولة آنذاك جرى تهديم لكل الدور من حول وأمام وتجاه مرقد الحسين عليه السلام وأقيمت حدائق ووسّع ما بين مرقد الإمام الحسين عليه السلام وأخيه أبي الفضل العباس عليه السلام.

إعداد: إحسان خضير



مسير السبايا
من كربلاء إلى الشام

د. حيدر خير الدين

عندما وصل موكب السبي إلى المدينة المنوّرة لم يجد بشر بن حذلم وكان شاعراً سوى هذه الأبيات لكي ينعى الإمام الحسين عليه السلام بقوله:

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها
قتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلا مضرج
والرأس منه على القنا يدار

أي طيف برأس الإمام وأهل بيته في الأمصار والأجناد، من كربلاء ابتداءً حتى الشام في رحلة عذاب ومشقة وآلام يعجز اللسان عن وصفها، والقلم عن الكتابة حولها حقاً، ذلك لطول المسافة ووعورة الطريق وقسوة اللئام وقيود الظلام وسياق الحاقدين والاجهاد في السير الحثيث، ولعلي لست أول من يرصد طريق السبايا إلى الشام ولكنني من الذين يحققون تاريخيا في رسم الطريق الذي سلكوه إلى دمشق وفي أسماء البلدان والمدن التي عبروا خلالها؛ إذ إنّ أرباب المقاتل لم يطنبوا في تاريخ السبي إلا ضمن إشارات بسيطة تكاد لا تكفي الباحث والمحقّق، وبالتالي فإن الجديد في هذا البحث هو اكتشاف معطيات علمية مؤكدة لتساؤلات كثيرة كانت الاجابة عنها تعد من ضروب التخمين والاحتمال، لاسيما مع تقادم الزمن وتبدل الأحوال، حيث نجد مدنا سادت ثم بادت وأخرى انقطعت أخبارها أو تبدلت أسماؤها، كل ذلك يجعل تحديد المسير على الخارطة الحديثة أمرا صعبا في الحقيقة، ولكنه وارد على أصله ما دامت هناك شواهد تاريخية وأثرية موجودة على طول الطريق من آثار حسينية، فالطريق من الكوفة إلى الشام شكل مستقيم غير ممكنة وكذلك المرور في بادية الشام الصحراوية لجهة دمشق أو صحراء السماوة لجهة كربلاء، وإن العودة على المدينة ومنها إلى دمشق عبر تبوك ومعان والثنية والصنمية في الأردن في ذلك اليوم عسيرة جدا وذلك لبعد المسافة أولاً، وللخوف من ردّة فعل أهل المدينة، ولأن الطريق الأقرب إليها هي عبر الموصل – نصيبين.

لذلك صدر الأمر بالترحيل عبر طريق الفرات الغربي الوافر بالكلأ والعامر بالخانات، وكان هذا الطريق بالأصل يطلق عليه طريق (البريد) لأمنه وعمارته بالقرى والدساكر التي تؤمن الزاد والعلف وهذا ما كانت تتطلبه الأسفار حينذاك، لاسيما وأن



عديد الجند الأموي كان ألف فارس وفي رواية أخرى ألفا وخمسمائة، وكان في موكب السبايا ثمانية وسبعون رأسا يتقدمهم رأس الإمام الحسين عليه السلام مرفوعة على القنا، وثلاثون امرأة وفتاة من أخواته عليهم السلام وزوجات أبيه، ومواليه وجواريه وصبيانهم جميعاً، فكانت القادسية أوّل المنازل التي مرّوا بها بعد خروجهم من الكوفة ثم وصلوا بمعاذاة تكريت عند قصر هبيرة خوفاً من انتفاضة القبائل، وبعدها جدّوا في المسير حتى دخلوا إلى دير عروة ثم صليتا، وادي نخلة، ثم لينا، والكحيل ومنها إلى الموصل التي اجتمع فيها أكثر من أربعين ألفاً من الأوس والخزرج لمقاتلة القوم فعكفوا عنها.

وقيل قديماً إنّ بلدان الدنيا العظام ثلاثة نيسابور لأنها باب الشرق، ودمشق لأنها باب الغرب، والموصل لأن القاصد إلى الجهتين قلّ ألاّ يمر بها، وسمّيت بالموصل لأنها وصلت بين دجلة والفرات.

وبعد الموصل عبروا تل عفر وهي تقع على طريق صحراوية هي غاية في الاستواء وبها حجارة كثيرة بحيث لا تستطيع الدواب أن تخطو خطوة واحدة من غير أن تعثر بحجر تحت حوافرها، ومنها إلى مشارف جبل سنجار بعدما قطعوا الفرات، وهو يقع شمال شرق سوريا، ويجتازه نهر الخابور وعنده قلعة حصينة مقامة لحماية الجزء الشمالي الشرقي للطريق المؤدي إلى نصيبين التي تبعد



عنها مسافة ثلاثة أيام وهي طريق مكشوفة تتكون من سهل خصب محصور بين سلاسل جبلية، وهذه الطرق تعد من أهم الطرق العسكرية والتجارية قديماً وحديثاً لكونها تربط العراق بجناحي الهلال الخصيب.

ونصيبين عبر الموكب عين الورد، ثم دعوات حتى وصلوا إلى قنّسرين وهي مدينة كانت عامرة وكان الجند ينزلها في ابتداء الإسلام، ولم يكن لحلب معها ذكر، وكانت قنّسرين من أجناد الشام ثم ضعفت بقوة حلب وهي الآن قرية صغيرة وتحتها يصب نهر (قويق) في المطخ وربوة قنّسرين مشرفة عليها لهذا لم يأتِ المؤرخون على ذكر سقط المحسن بن الحسين عليه السلام في جبل جوشن في حلب لكونها كانت تابعة لخراج قنسرين.

ومنها سلك الموكب إلى أن وصلوا إلى كفرطاب وهي اليوم مندثرة وموقعها الحالي يقع في الشمال الغربي من خان شيخون على بضعة كيلومترات، وهي كانت على الطريق بين المعرّة وشيزر، وبنهاية هذا الموقع تنتهي حدود قضاء المعرّة من ولاية حلب وتبدأ حدود قضاء حماة،وقد تابع الموكب عبر سيبور حتى وصلوا (حماة)، وإن الطريق الحالية اليوم هي عبر سهول



العلا الشاسعة العارية من كل شجرة ونضرة حتى نصل إلى حوران، طيبة العلا، القمحانة، ثم من غربي قرون حماة، وقرون حماة هما جبلان متقاربان من الحجر الجيري الأسود ويبعدان عن المدينة إلى الشمال عشرة كيلومترات يدعى الكبير منهما زين العابدين وارتفاعه ٦٤٥م، والصغير كفر راع ٦٣١م وفي شرقي الأول ضيعة الهاشمية نسبة إلى الفاطميات الهاشميات اللواتي استرحن فيها أثناء السبي، فيما صعد الإمام زين العابدين عليه السلام إلى أعلا الجبل ليتهجّد طوال ليله هناك، لذلك دُعي من حينها بـ(مقام زين العابدين عليه السلام) وكان قد رمّمه الأشرف قايتباي عام ٨٨٣هـ.

ومن قرون حماة وصل الموكب إلى شيزر عبر طريق أساسي كانت تسلكه أكثر القوافل والحجافل القادمة من شمالي الشام أو جنوبيها وذلك لتسلّطها على وادي العاصي، لهذا كانت تعد مفتاح بلاد الشام لمكانتها المهمة لكونها سوقاً للجيش والتجار وهي تقع اليوم قرب المعرّة وتعدّ من جند حمص والعاصي يمر من شرقها، ومنها عبر سهول فسيحة وصلوا إلى جسر الرستن وهو جسر عظيم مبني على نهر العاصي ومنه في برية مقفرة وصلوا على حمص، من هنا دخلوا المدينة (حمص) من باب الرستن أي من جهة بلدة الرستن، وفي حمص انتفض أهلها وقتلوا من الأمويين ستة وعشرين فارساً وساروا عبر تل النبي... باتجاه رأس بعلبك. لأن الطريق بين حمص ودمشق وعرة وبرية وعطشة وغير آمنة لوجود السابلة فيها وكان العرب قديماً يقولون عنها - لاسيّما عبر (قارة والنبك) وهما يقعان على طريق حمص ودمشق - (بين قارة والنبك بنات الملوك تبكي)؛ لهذا سلكوا الطريق الخصبة عبر سهل البقاع بمحاذاة الأقنية والينابيع والأنهار حتى وصلوا إلى مشارف بعلبك. عبر حوش تل صفية وقد سمّي كذلك لوجود مقام ينسب إلى حادثة السبي فيها ثم إلى بعلبك عند مرجة رأس العين وقد ظن البعلبكيّون أن السبايا من الروم أو الديلم فاستقبلوهم بالأهازيج لكن لما علموا حقيقة الأمر انتفضوا عليهم وعند خروجهم من الباب الغربي كانت وفاة السيدة خولة بنت الحسين عليه السلام هناك، ومن بعلبك صعوداً باتجاه الجنوب الشرقي عبر الطيبة، بريتال، حتى حورتعلا وفيها مقام ينسب لأحد أبناء الإمام الحسين عليه السلام المعروف باسم عبد الله، دون أن يدري أحد كونه الأوسط أو الأصغر أو غير ذلك، ومقابر حورتعلا في الجهة الغربية الجنوبية تقع بلدة قصرنبا وفيها يشاع أن سكينة بنت الحسين عليه السلام قد نامت تحت شجرة في خراجها ونسيها القوم، وكان قد عدل بهم الطريق قبل وصولهم إلى دمشق، وفي بلدة الخريبة يقدّس الأهالي (حقلة) أهل البيت لنزولهم فيها عند (خانوق عبادي) ويقولون إنّ السبايا تعبّدوا في ذلك المكان أثناء مرور الركب في طريقهم إلى الشام، ومن الخريبة شرقاً باتجاه حام، معربون، سرغايا والزبداني، ومنها وصلوا إلى دمشق الشام وذلك في مسيرة دامت عشرين يوماً من كربلاء.



إحصائيات مهمة عن ثــورة كربــلاء

أسامة محمد

لا يخفى ما للإحصاء من دور في إبراز معالم أوضح عن أي موضوع أو حادثة. ولكن نظرا لاختلاف النقل التاريخي والمصادر في حادثة كربلاء وما سبقها وما تلاها من أحداث، لا يمكن الركون إلى إحصاء دقيق ومتفق عليه. فقد تجد أحيانا تفاوتا كبيرا فيما نقل عنها، ومع ذلك نرى أن عرض بعض الإحصائيات يجعل ثورة كربلاء أكثر تجسيدا ووضوحا. ولهذا السبب ننقل فيما يلي بعض النماذج والأرقام علما أنّ القسم الأعظم من هذا الإحصاء منقول عن كتاب (حياة أبي عبدالله لمؤلفه عماد زاده)، وكتاب (وسيلة الدارين في أنصار الحسين للسيد إبراهيم الموسوي)، وكتاب (إبصار العين للسماوي) وهي كما يلي:

١: امتدت فترة قيام الإمام الحسين عليه السلام من يوم رفضه البيعة ليزيد وحتى يوم عاشوراء ١٧٥ يوما؛ اثنا عشر يوما منها في المدينة، وأربعة أشهر وعشرة أيام في مكة، وثلاثة وعشرون يوما في الطريق من مكة إلى كربلاء، وثمانية أيام في كربلاء (من اليوم الثاني الى اليوم العاشر من محرم).

٢: عدد المنازل بين مكة والكوفة والتي قطعها الإمام الحسين عليه السلام حتى بلغ كربلاء هي ثمانية عشر منزلا.

٣: المسافة الفاصلة بين كل منزل وآخر ثلاثة فراسخ وأحيانا خمسة فراسخ.

٤: عدد المنازل من الكوفة إلى الشام والتي مر بها أهل البيت وهم سبايا اربعة عشر منزلا.

٥: عدد الكتب التي وصلت من الكوفة إلى الإمام الحسين عليه السلام في مكة تدعوه فيها إلى القدوم هي اثنا عشر الف كتاب.

٦: بلغ عدد من بايع مسلم بن عقيل في الكوفة ثمانية عشر ألفاً أو خمسة وعشرون ألفاً؛ وقيل اربعون الف شخص.

٧: عدد شهداء كربلاء من أبناء أبي طالب الذين وردت أسماؤهم في زيارة الناحية هم سبعة عشر شخصا. وعدد شهداء كربلاء من أبناء أبي طالب ممّن لم ترد أسماؤهم في زيارة الناحية هم ثلاثة عشر شخصاً. كما واستشهد ثلاثة أطفال من بني هاشم، فيكون بذلك مجموعهم ثلاثة وثلاثين شخصا.

٨: بلغ عدد الشهداء الذين وردت أسماؤهم في زيارة الناحية المقدسة وبعض المصادر الأخرى ــ باستثناء الإمام الحسين عليه السلام وشهداء

بني هاشـم ــ اثنـين وثمانين شـخصا. ووردت أسـماء تسعة وعشـرون شخصا غيرهـم في المصـادر المتأخـرة.

٩: بلـغ مجمـوع شـهداء الكوفـة مـن أنصار الإمام الحسـين عليه السلام مئة وثمانيـة وثلاثـين شـخصا، وكان اربعة عشر شـخصاً من هذا الركب الحسيني غلمانـاً (عبيدا).

١٠: كان عـدد رؤوس الشـهداء التي قسـمت على القبائل وأخذت من كربلاء إلى الكوفة: ثمانية وسبعين رأسا مقسمة علـى النحو التالي: (قيس بن الأشـعث رئيس بنـي كنـدة: ١٣ رأسـاً. شـمر، رئيس هوازن: ١٢رأسا. قبيلة بني تميم: ١٧رأسا. قبيلة بني أسد: ١٧ رأسا. قبيلة مِذْحج: ٦ رؤوس. أشـخاص مـن قبائل متفرقة: ١٣ رأسـا).

١١: كان عمـر سـيد الشـهداء حـين شـهادته سبعاً وخمسـين سنة.

١٢: بلغـت جراح الإمام عليه السـلام بعـد استشـهاده: ثلاثـاً وثلاثـين طعنـة رمح واربعاً وثلاثين ضربة سـيف وجراح أخرى مـن أثر النبال.

١٣: كان عـدد المشـاركين في رضّ جسـد الإمـام الحسـين عليـه السـلام بالخيـل عشـرة أشـخاص.

١٤: بلـغ عـدد جيش الكوفـة القادم لقتال الإمام الحسين عليه السلام ثلاثة وثلاثين الف شـخص.

١٥: نعـى سـيد الشـهداء يوم العاشـر من محرم، عشـرة من أصحابه، وخطب في شهادتهم، ودعا لهم أو لعن أعداءهم، وأولئك الشهداء هم علي الأكبر، العبّاس، القاسـم، عبد الله بن الحسـن، عبد الله الرضيـع، مسـلم بن عوسـجة، حبيب بن مظاهر، الحر بن يزيد الرياحي، زهير بن القـين، وجون. و ترحّم علـى اثنين منهما وهما: مسلم وهاني.

١٦: سـار الإمام الحسـين وجلس عند رؤوس سبعة من الشهداء وهم: مسلم بن عوسـجة، الحر، واضـح الرومي، جون، العباس، علي الأكبر، والقاسم.

١٧: أُلقـي يـوم العاشـر مـن محـرم بثلاثة مـن رؤوس الشـهداء إلى جانب الإمام الحسـين عليه السلام وهم: عبد الله بـن عمير الكلبي، عمـرو بن جنادة، وعابـس بن أبي شـبيب الشاكري.

١٨: قطعـت أجسـاد ثلاثـة مـن الشـهداء يـوم عاشـوراء، وهـم: علـي الأكبر، العباس، وعبد الرحمن بن عمير.

١٩: كانـت أمهات تسـعة من شـهداء كربلاء حاضـرات يوم عاشـوراء ورأين استشـهاد أبنائهـن، وهم: عبـد الله بن الحسـين وأُمّـه الربـاب، عـون بـن عبد الله ابـن جعفر وأمّه زينب، القاسـم بن الحسـن وأمّه رملة، عبد الله بن الحسن وأمّـه بنت شـليل الجليليـة، عبد الله بن مسـلم وأمّه رقية بنت علي عليه السلام، محمد بن أبي سـعيد بن عقيل، عمرو بن جنادة، عبد الله بن وهب الكلبي وأمّه أُم وهب، وعلي الأكبر (وأمّه ليلى كما وردت في بعض الأخبـار ولكن هذا غير ثابت).

٢٠: استشـهد في كربـلاء خمسـة صبيـان غـير بالغـين وهـم: عبـد الله الرضيـع، وعبد الله بن الحسـن، محمد ابـن أبي سـعيد بـن عقيل، القاسـم بن الحسـن، وعمرو بن جنـادة الانصاري.

٢١: خمسـة مـن أصحـاب كربـلاء كانـوا من أصحاب رسـول الله صلى الله عليه وآله وهم: أنـس بن حرث الكاهلي، حبيب بن مظاهر، مسـلم بن عوسـجة، هـانيء بـن عـروة، وعبـد الله بـن بقطر (يقطـر) العمـيري.

٢٢: استشـهد بـين يدي أبـي عبد الله خمسـة عشـر غلاماً وهم: نصر وسـعد (مـن موالي علي عليه السـلام)، مُنجِح (مـولى الإمام الحسـن عليه السـلام)، أسلم وقارب (من موالي الإمام الحسين عليه السـلام)، الحرث (مولى حمزة)، جون (مولى أبي ذر)، رافع (مولى مسلم الأزدي)، سعد (مولى عمر الصيداوي)، سـالم (مولى بني المدينة)، سالم (مولى العبدي)، شـوذب (مولى شاكر)، شيب (مولى الحرث الجابري) وواضح (مولى الحرث السـلماني)، هؤلاء الأربعة عشر استشهدوا في كربلاء، أما سلمان (مولى الإمام الحسـين عليه السـلام) فقد كان قد بعثه إلى البصرة واستشـهد هناك.

٢٣: أُسـر اثنـان من أصحـاب الإمام الحسـين عليه السـلام ثـم استشـهدا، وهما: سـوار بن منعـم، ومنعم بن ثمامة الصيداوي.

٢٤: استشـهد أربعـة مـن أصحـاب الإمـام الحسـين عليه السـلام مـن بعد استشـهاده وهم: سـعد بن الحرث وأخوه أبو الحتوف، وسـويد بن أبي مطاع (وكان جريحاً)، ومحمد بن أبي سعيد بن عقيل.

٢٥: استشـهد سـبعة بحضـور آبائهم وهم: علي الأكبر، عبد الله بن الحسـين، عمرو بن جنادة، عبد الله بن يزيد، مجمع ابن عائذ، وعبد الرحمن بن مسـعود.

٢٦: خرجـت خمـس نسـاء مـن خيام الإمام الحسين عليه السلام باتجاه العدو لغرض الهجوم أو الاحتجـاج عليه وهن: أمة مسـلم بن عوسـجة، أم وهـب زوجة عبد الله الكلبي، أم عبد الله الكلبي، زينب الكبرى، وأم عمـرو بن جنادة.

٢٧: المـرأة التـي استشـهدت في كربـلاء هي أم وهب (زوجة عبد الله بن عمـير الكلبي).

٢٨: النسـاء اللواتـي كـن في كربلاء، هـن: زينـب، أم كلثوم، فاطمـة، صفية، رقية، وأم هانئ (هؤلاء الست من بنات أمـير المؤمنين)، وفاطمة وسـكينة (بنتا الإمام الحسـين عليه السـلام)، ورباب، وعاتكة، وأم محسـن بن الحسـن، وبنت مسـلم بن عقيل، وفضة النوبية، وجارية الإمام الحسـين، وأم وهب بن عبد الله.

عـــادات عاشوراء

الشيخ علي سليم

الفرق بين اللطم والندب

اللطميـة: هـي شـعيرة عظيمة مـن جملة الشـعائر الحسـينية المعظمة تمثـل طريقة مؤثرة من طرق إحياء أمر أهل البيت عليهم السـلام ومراسـم عاشوراء لدى كل الموالـين لآل محمـد صلى الله عليه وآله وسـلم على اختـلاف ألوانهـم وألسـنتهم يعبرون مـن خلالها عن حزنهـم وتألمهم لمصاب العترة الطاهرة لاسـيما سـيد الشـهداء أبي عبد الله الحسـين عليه السلام.

فمـا هـو النـدب واللطـم ومـا هـي الأدلـة علـى مشـروعيتها وأقـوال العلمـاء فيهمـا:

معنى الندب واللطم

ربما يتبـادر إلى أذهاننـا أن النـدب واللطم لفظان لمعنى واحد كما هو الشـائع حاليـاً، لكننا لو رجعنا إلى معاجـم اللغـة ودققنا لوجدنا أن معنـى الندب مختلف عن معنى اللطـم في أصل اللغة.

فالنـدب هـو أن تدعـو النادبـة الميت بحسـن الثناء في قولها (وا فلاناه، وا هناه) واسـم ذلك الفعل الندبة وهو مـن أبواب النحو كل شـيء في ندائه (وا) فهو من باب الندبة، وندب الميت أي بكى عليه وعدَّدَ محاسـنه.

أمـا اللطـم فهـو ضربـك الخـد وصفحـة الجسـم

ببسط اليد أو الضرب على الوجه بباطن الراحة.

فالندب فعل اللسان والحنجرة (بالصوت) واللطم فعل اليد (بالضرب) ولكنهما يجتمعان في المجالس والمواكب الحسينية فيقوم النادب (الرادود) بالندب ويشاركه الحاضرون به في اللازمة وهم يلطمون صدورهم ورؤوسهم.

مشروعية الندب واللطم

أما من الناحية الشرعية فكل من الندب واللطم جائز عند مشهور فقهائنا أعلى الله مقامهم، وقد أقرهما الإمام الرضا عليه السلام لورودهما في قصيدة دعبل الخزاعي التائية المشهورة حيث قال:

> **أفاطم لو خلت الحسين مجدلا**
> **وقد مات عطشاناً بشط فرات**
> **إذا للطمت الخد فاطم عنده**
> **وأجريت دمع العين في الوجنات**
> **أفاطم قومي يا ابنة الخير**
> **واندبي نجوم سماوات بأرض فلاة**

فقد نسب دعبل اللطم إلى الصديقة الزهراء عليها السلام ودعاها إلى الندب على ولدها الحسين عليه السلام لو كانت حاضرة في كربلاء، فأقره الإمام الرضا عليه السلام على ذلك ولم يستنكره منه بل أثنى عليه وكافأه بأن أهداه عباءته كما يروى، وقال له عند ذكره لخروج الإمام المهدي عليه السلام في آخر قصيدته: «يا خزاعي، نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين».

ولا تزال هذه السيرة على إقامة مجالس البكاء والندب واللطم على الحسين عليه السلام والتي أقرها أئمتنا عليهم السلام قائمة إلى يومنا هذا.

أدلة جواز الندب

إضافة إلى جريان سيرة المتشرعة استدل فقهاؤنا بجملة من الأخبار أهمها:

١. ندب سيدة نساء العالمين فاطمة عليها السلام على أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كما ورد في السيرة النبوية.

فلما دفن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالت فاطمة عليها السلام: «أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم التراب»، وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول:

> **ماذا على من شمّ تربة أحمد**
> **أن لا يشمّ مدى الزمان غواليا**
> **صُبّت عليّ مصائب لو أنّها**
> **صبّت على الأيام عدن لياليا**

٢. وقوع الندب على الحسين عليه السلام في كربلاء من قبل النساء.

فقد ورد في مقتل الخوارزمي: (فلما نظرت أخوات الحسين عليه السلام وبناته وأهله إلى الفرس ليس عليه أحد رفعن أصواتهن بالصراخ والعويل ووضعت أم كلثوم يدها على أم رأسها ونادت: وا محمداه وا جداه وا نبياه وا أبا القاسماه وا علياه وا جعفراه وا حمزتاه وا حسناه هذا حسين بالعراء صريع بكربلاء محزوز الرأس من القفا مسلوب العمامة والرداء...).

أدلة جواز اللطم

يعتبر اللطم في المصاب من أفراد ومصاديق الجزع وهو: (نقيض الصبر) أو (إظهار الحزن والكدر) وقد ورد ذكر اللطم باعتباره من أشد الجزع في خبر جابر عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: قلت له ما الجزع؟ قال عليه السلام: «أشد الجزع الصراخ بالويل والعويل ولطم الوجه والصدر وجز الشعر من النواصي...».

وقد حكم فقهاؤنا بكراهة الجزع إلا في مصيبة الإمام الحسين عليه السلام لأدلة عديدة منها:

١. خبر علي بن حمزة عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنه قال: «إن البكاء والجزع مكروه للعبد في كل ما جزع ما خلا البكاء والجزع على الحسين بن علي عليه السلام فإنه فيه مأجور».



وهذا الخبر لا يدل على جواز البكاء والجزع واللطم – وهو من أشده – فحسب بل يدل على استحبابه أيضاً واستيجابه الأجر والثواب إن كان على الحسين بن علي عليهما السلام.

٢. وقوع اللطم من عيال الحسين عليه السلام (نسائه وأخواته وبناته) بحضور الإمام زين العابدين عليه السلام وإقراره لهن على ذلك.

كما ذكر الخوارزمي في مقتله: (ثم أذن عمر بن سعد بالناس في الرحيل إلى الكوفة وحمل بنات الحسين عليه السلام وأخواته وعلي ابن الحسين عليه السلام وذراريهم فلما مرّوا بجثة الحسين عليه السلام وجثة أصحابه صاحت النساء ولطمن وجوههن...).

فإن هذا البكاء هو الذي حافظ على المذهب حتى وصل إلينا ومسيرات اللطم هذه هي التي أحيتنا وتقدمت بنا.

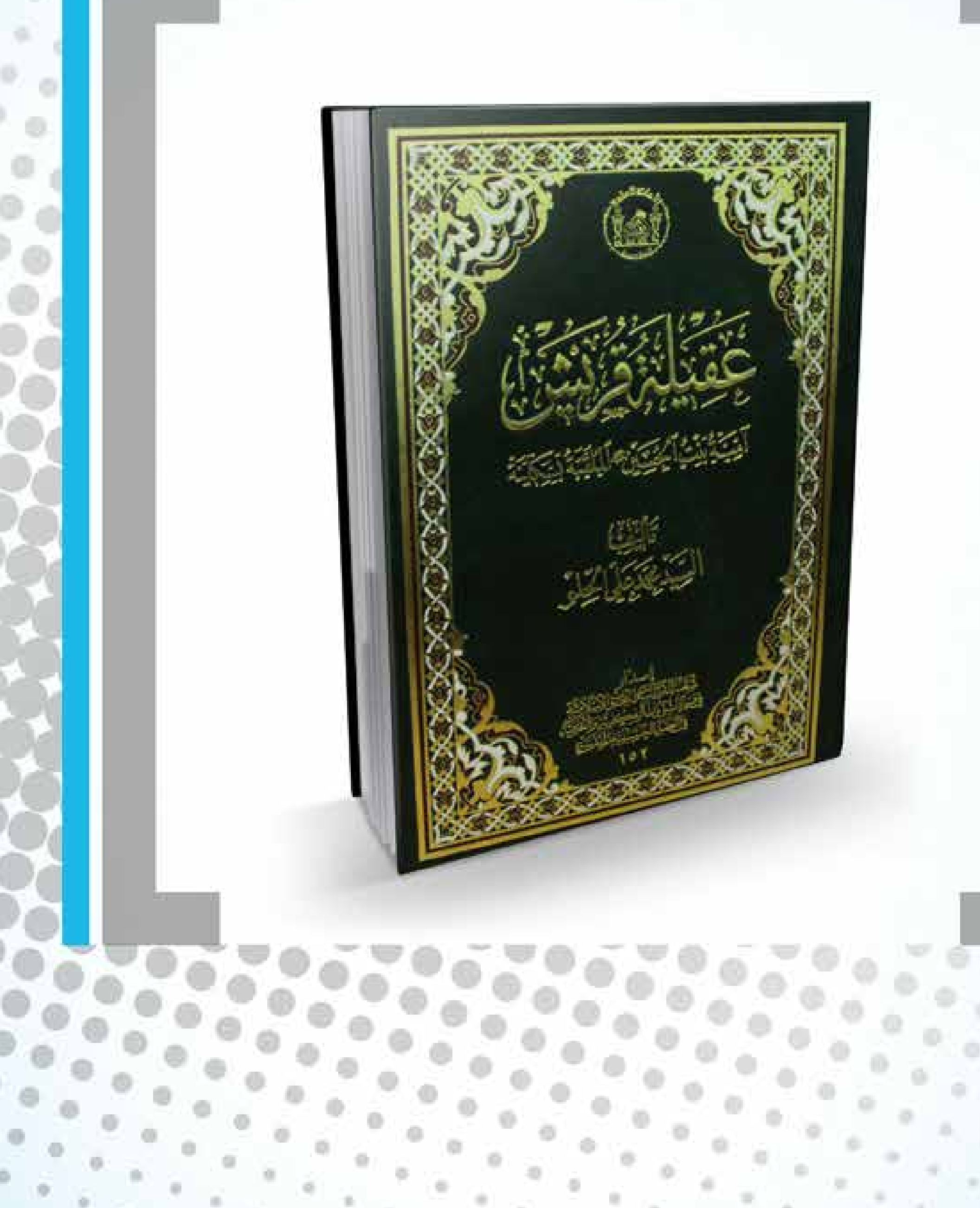
فمجالس العزاء التقليدية هذه تقرب الناس من الدين وهذا ما أوصى به أهل البيت عليهم السلام، فإن الجلوس في المجالس والاستماع إلى العزاء والبكاء واللطم على الرؤوس والصدور والخروج في مواكب العزاء كل ذلك يثير عواطف الناس تجاه أهل بيت النبوة عليهم السلام وهذا أمر عظيم.

روحية الندب واللطم

ورد في جواب العلامة الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء على سؤال يتعلق بجواز واستحباب اللطم قوله: ... إن من قطعيات المذهب الإمامي، ومن مسلمات هذه الفرقة الحقة الاثني عشرية أن فاجعة الطف والواقعة الحسينية الكبرى واقعة عظيمة ونهضة دينية عجيبة، والحسين عليه السلام رحمة الله الواسعة وباب نجاة الأمة ووسيلة الوسائل والشفيع الذي لا يرد وباب الرحمة الذي لا يسد.

إن حق الأمر وحقيقة هذه المسألة إنما عند الله جل وعلا، ولكن هذه الأعمال والأفعال إن صدرت من المكلف بطريق العشق الحسيني والمحبة والوله لأبي عبد الله على نحو الحقيقة الطريقة المستقيمة، وانبعثت من احتراق الفؤاد واشتعال نيران الأحزان في الأكباد بمصاب هذا المظلوم ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم المصاب بتلك الرزية، بحيث تكون خالية ومبرأة من جميع الشوائب والتظاهرات والأغراض النفسية، فلا يبعد أن يكون جائزاً، بل يكون حينئذ من القربات وأجل العبادات.

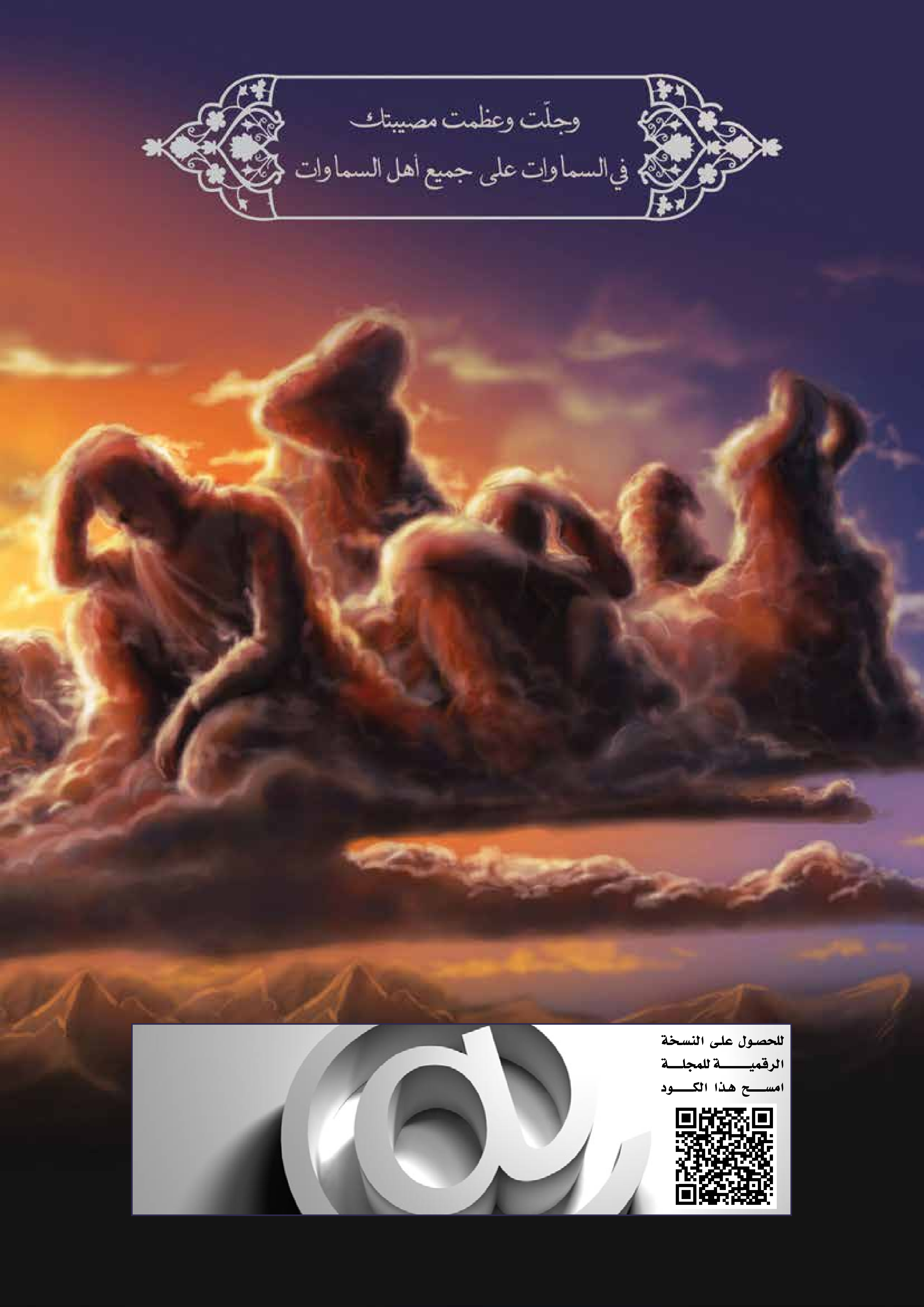
صدر حديثاً عن قسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبـــــــة الحسينـــــــية المقدســــــــة



■ تعلن إدارة مجلة الوارث عن البدء في استقبال البحوث والمقالات العلمية والإسلامية لنشرها ضمن أعداد المجلة القادمة، علماً أن المقالات ستخضع للتقييم العلمي.

يرجى إرسال الأعمال على البريد الألكتروني التالي:

Email: dirasatislamia@gmail.com


وجلّت وعظمت مصيبتك
في السماوات على جميع أهل السماوات
للحصول على النسخة
الرقمية للمجلة
امسح هذا الكود